

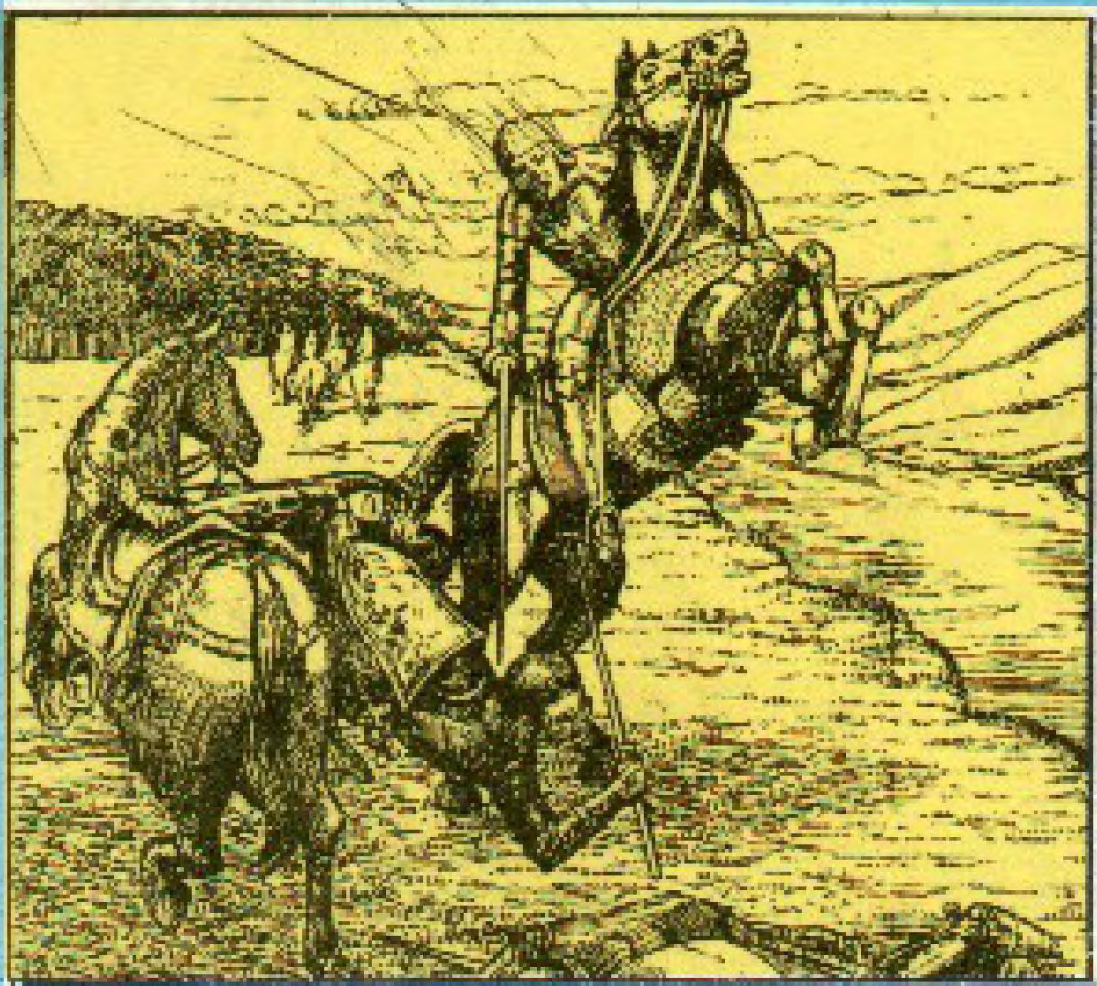
روائع الأدب العالمي للناسخين

فارس من اسكتلندا

تأليف: سير والتر سكوت

ترجمة: محيى التلمسانى

مراجعة: مختار السويفى



رئيس التحرير : مختار السويدي

الاخراج الفني : الحبيبة حسين

هذه ترجمة لرواية :

QUENTIN DURWARD

By Sir WALTER SCOTT

مقدمة

● المؤلف : سير والتر سكوت :

● ولد عام ١٧٧١ في أدنبره باسكتلندا ومات عام ١٨٣٢م .

● يعد واحدا من أعظم الأدياء الروائيين في عصره على مستوى أوربا كلها .

● كان شاعرا عظيما . . وكتب مئات من القصائد . . كما جمع الأشعار الشعبية الاسكتلندية ونشرها في مجلدات صدرت بعنوان « الشعر الغنائي » .

● كتب أول رواياته « واغزلى » عام ١٨٠٤ . .
ثم رواية « مارعيون » عام ١٨٠٨ . . ومن أشهر
رواياته « ايقانهو » التى قدمناها لكم فى هذه السلسلة
من روائع الأدب العالمى للناشئين . . ورواية « كويتش
دوروارد » التى نقدمها لكم بصوران « فارس من
امكتلندا » . . وكتب ايضا أكثر من عشرين رواية
نجحت نجاحا جماهيريا عظيما . . وكسب من هذه
الأعمال الأدبية أموالا طائلة .

● تتميز معظم أعماله الروائية بروح الفروسية
والمغامرات ذات الأهداف النبيلة . . كما يظهر فيها
مدى حبه للتاريخ الماصى الجيد لبلاده . وهو تاريخ
يمتد الى العصور الوسطى . . ولذلك فقد أبرز فى
هذه الروايات شخصيات تاريخية يقارنها كثير من
النقاد بالشخصيات التاريخية التى أبدعها وليام
شيكسبير .

● وإلى جانب روح الفروسية التى تتميز بها
أعماله الأدبية تجد أيضا الطابع الرومانسى شائعا فى

معظم هذه الاعمال كما نلمس قسرتة الفائقة على
التصوير الواقعي لجميع الأحداث والوصف الدقيق
لجميع الشخصيات .

● وفي عام ١٨٢٠ منح لقب « بارون » تقديرا
لمكانته الأدبية الرفيعة .

« رئيس التحرير »

الشخصيات بترتيب ظهورها في الرواية :

- كوينتن دوروارد .
- الملك لويس ملك فرنسا (ماطر بيير)
- كريستان (ضابط من ضباط ملك فرنسا)
- ليدى ايزابيل
- بلاغريه (خال كوينتن دوروارد واحد افراد الحرس الاسكتلندي)

- زاميت ماجروين (نجري)
- ايشيل واندرية (جنود ملك فرنسا)
- لورد كراوفورد (قائد الحرس الاسكتلندي)
- دوق أورليان (ابن أخ ملك فرنسا)
- جون بالو (اسقف في بلاط الملك لويس)
- سونوا (جندي من جنود الملك لويس)
- اوليفر دين (خادم الملك لويس)
- كوت كرافكور (ضابط في بلاط بورجوندي)
- الاميرة جوان (ابنة الملك لويس)
- ليدى هاملين
- مارثون (أخت خيرالدين)
- خيرالدين (نجري ، أخ لزاميت)
- اسقف لياج (صديق دوق بورجوندي)

- باهيون (قاجر ثرى من لياج)
- ترويشن (ابنة باهيون)
- بتركين جسر (صديق باهيون)
- وليم بولامارك (خارج عن القانون)
- كارل (ابن بولامارك)
- هانز جلوفر (صديق ترويشن ابنة باهيون)
- كونت كاميو - باسو (يريد دوق بورجوندى تزويجه
ليدى ايزابيل)
- كومينس (ضابط فى بلاط بورجوندى)
- دوق بورجوندى (عدو ملك فرنسا)
- ليدى كرافكور (زوجة كونت كرافكور)
- روج سانجلييه (او الخنزير الأحمر) هو الاسم
الذى يطلق على خيابين عندما يحمل رسالة من
لامارك الى دوق بورجوندى

ترتيب الطبقات :

١ - الملك

٢ - الأمير

٣ - الدوق

٤ - الكونت

(الكونتيسة هي زوجة الكونت)

الأسقف هو رئيس الكنيسة الذي يلي الدوق في
المرتبة ويسبق الكونت .

● ملاحظة :

في الفترة التي تدور فيها أحداث هذه القصة (عام
١٤٦٨م) . لم تكن فرنسا بعد ملدا واحدا يحكمه حاكم
واحد كما هو الحال اليوم . كانت فرنسا منقسمة الى
عدة مقاطعات مثل مقاطعة بورجوندى (أو بورجوني
بالفرنسية Bourgogne) ونورماندى ولورين وغيرها .

وكان حكام هذه المقاطعات ينتمون لطبقة الدوق أو اللورد . كما كان ملك فرنسا يحكم جزءا كبيرا من البلد بنفسه . ولقد أقيمت هذه الطبقات من النبلاء على طاعته . لكنها أحيانا كانت تتمرد عليه ، فدارت الحروب بينها وبين الملك وبينها بعضها البعض .

وكان دوق بورجوندى أعظم النبلاء جميعا وكان يلى ملك فرنسا فى القوة والسلطان .

الفصل الأول

من هو ماتر بير ؟

كان صباها صيفيا جميلا ، أشرقت شمسها فوق
أشجار الغابة المحيطة بقلعة « بليسي ليتور » في فرنسا
وكان هناك شاب جاء من الشمال الشرقي ويتجه صوب
نهر صغير يقف على شاطئه رجلان .

عندما اقترب الشاب بدت ملابسها الامـكتلدية
القومية واضحة للعيان ، كان عمره لايتجاوز العشرين

عاما ، وعندما بلغ ضفة النهر توقف وصاح سائلا
ان كان بإمكانه عبور النهر وان كانت مياهه عميقة .

عندما لم يتلق ردا قفز في الماء لكن الماء كان
أعمق مما تصور فاضطر للصياحة . صاح الرجل الأكبر
سنا :

ها ! .. شاب صغير طيب يجيد الصياحة .. احر
وساعده عندما يصل الى الشاطئ .. ربما كان واحدا
من جنودنا الاسكتلنديين .

بلغ الشاب ضفة النهر وخرج من الماء متجها نحو
الرجل الأكبر سنا وسأله :

لماذا لم ترد على عندما صحت سائلا عن عمق
النهر ؟

ورفع عصاه لكي يضرب بها الرجل . فقال .

يبدو أنك عريب . لا بد ان تتذكر دائما ان لغتك غير
مفهومة بسهولة .

قال الشاب :

حقاً . لا بأس . يجب أن اطلب منكما اصطحابي
الى مكان ما لأجفف ملابسى .

قال الرجل :

من تظننا نكون ؟

أجاب الشاب :

أوه ، ربما نكت تاجرا وهذا الرجل ربما كان تاجرا
متحولاً ، وبائع لحوم أو قاتلاً !

صاح الرجل الأكبر سناً مبثما وقال :

صحيح . أنت على حق تماما . مهنتى هى
الحصول على أكبر قدر من المال ومهنة صديقى هى
القتل بالأهل . حصنا سوف أحاول مساعدتك ولكن
اخبرنى أولا من أنت ؟

نظر الشاب بإمعان الى الرجل الأكبر سناً ثم
نظر الى الرجل الآخر . كان الكبير يرتدى ملابس

داكنة وكان وجهه قزيا صلقا . اما الآخر فكان يصفره
بمشرة أعوام وكان يحمل سيفا .

قال الشاب :

لا أعرف لمن أتحدث ولكني سوف أخبركما من
أكون . - لقد جئت من اسكتلندا لزيارة عمي ، بالأفريه ،
وهو من حرس ملك فرنسا الاسكتلنديين .

قال الأكبر سنا :

أنا هاتر بير - وما اسمك أنت ؟

- كوينتن دوروارد ، من العيلاء .

- حسنا أيها الشاب تستطيع أن تبقى معي سوف
أصحبك الى الخان .

وقى أثناء سيرهم مرورا بالقرب من القلعة . فقال
هاتر بير : انها قلعة جميلة اليس كذلك ؟ لابد أن
المقيمين بها لا يشعرون بالمحرف ادا !

قال الشاب : لو كنت ملك فرنسا لما بنيت قلعتي

بهذه الحصانة ، ولحكمت بالعدل حتى لا يتمنى أحد
مهاجمتي .

قال الرجل الآخر ويدعى تريسقان : يجب أن تكون
حريصا في كلامك والا سمعك الملك .

قال كوينتن : أنا لا أباي . الرجل الاسكتلندي
يقول دائما مايفكر فيه ولم أنى قابلت الملك لقلت له نفس
ما قلته الآن !

وكان كوينتن قريبا من الملك فى تلك اللحظة أكثر
مما يتخيل .

سار الرجال الثلاثة على الطريق مسافة طويلة ثم
تركهم تريسقان .

عندما اقتربا من القرية استدار ماثر بيير يمينا
وقال : سوف أأخذك الى حان هادىء يستقبل أفضل
الساافرين فقط .

قال كوينتن : لا تأخذنى الى مكان ادفع فيه مالا
كثيرا نظير اقطارى !

ضحك هاتر بيير وقال : يا لكم من حريصين أيها
الاسكتلنديين ' . . . انكم تحرصون على كل قرش .
يذهب الانجليزى منكم الى الحانة فيأكل ويشرب كما
يشاء ولا يفكر فى المال مطلقا الا اذا امتلأت معدته .
ولكن تذكر يا سيدى انى مدين لك طعام افطارك . فيسببى
اسلت ملايمك ' .

فبطا فى عمر صغير تحفه الأشجار العالية من
الجانبين حتى وصلا فى النهاية الى خان صغير
هادئ . لم يناد هاتر بيير على أحد بل اجتاز بابا جانيبا
ودخل حجرة كبيرة تشتمل فيها نيران المدفأة . . . كانت
المائدة معدة للافطار . دخل صاحب الخان وانحنى
فقال هاتر بيير : لقد أرسلت لك أمرا يا عداد مائدة
الافطار ' .

انحنى صاحب الخان مرة ثانية وأسرع لاجتماع
الطعام .

الفصل الثانى

من تكون السيدة ؟

كانت وجبة نداء بحق وبدا كوينتن جديرا بها
الى حد كبير . جلس حاتر بيير الى المائدة دون أن يأكل
وراح يراقب الشاب وهو يأتى على الاطباق واحدا تلو
الأخر . وقال حاتر بيير : انتى لا آكل شيئا قبل الظهر
فيما عدا ثمرة فاكهة وأشرب كوبا من الماء .
ثم التفت الى صاحب الخان وقال : قل للسيدة
أن تحضر لى بعض الفاكهة .

غابر صاحب الخان الفرعة • وقال مائر بيير :
حسنا •• لقد وفيت بوعدي ودعوتك الى الافطار •

قال الشاب : هذه افضل وجبة تناولتها منذ
مفادرتي اسكتلندا حتى الآن •

فتحت سيدة شابة الباب ودخلت وهي تحمل طبقا
من الفاكهة •• كان وجهها نبیلا جميلا وقد تناثر شعرها
الأسود على كتفيها لكن نظرة حزن دفين اطلت من
عينيه •

قال مائر بيير : لماذا يا ايزابيل ؟ •• لماذا جئت ؟
كنت اريد رؤية هاملين • هل تظن انها انبل من ان تقدم
لي الطعام ؟

اجابت ايزابيل : انها مترعة وقد بقيت في غرفتها •

قال مائر بيير : ارجو ألا تكون مدعية المرض •

كان وجه ايزابيل شاحبا وبدا كما لو كانت ستسقط
طبق الفاكهة • قفز كوينتن على قدميه والنقطة منها •



كانت ذات ملامح نبيلة ووجه جميل !

وقال مائر بيير : أنا لا ألومك ياسيدي لألك شابة
وحصفاء . كل النساء حقائق وسيفرك هذا الشاب
الاسكتلندي أن هذه هي الحقيقة .

نظرت ايزابيل برفة الى كوينتن وكان في عينيها
نداء يدعو له لنجدتها . فقال كوينتن : لا هذا ليس صحيحا
وانا راثي أن هذه السيدة تتمتع بالعقل والجمال معا .

قال مائر بيير : انت شاب غريب !

غادرت السيدة الحرة ووضع كوينتن طبق الفاكهة
على المائدة . قال مائر بيير وهو يمعن النظر في
كوينتن :

مخلوق جميل . . انها فتاة جميلة لا يصح أن
تعمل خادمة في الخان اليس كذلك ؟

طاحت هذه الكلمات الباردة بأحلام اليقظة من
عقل كوينتن وظل وجه ايزابيل يعاوده مرار ومرة منذ
ذلك الحين .

ووقف مائر بيير أخيرا استعدادا للرحيل . وقال :

يحب أن تحمد الله أنك قابلتني هذا الصباح • ستفهم
فيما بعد معنى قولي هذا • • ابق في هذا الخان حتى
باتيك عمك بالأفريه • سأخبره أنك هنا فعندى بعض
الأعمال اقضيها في القلعة ١

قال كوينتن مخاطباً نفسه : الى الشيطان هذا
التاجر العجوز ! يظن نفسه شخصية عظيمة وهو يعطى
الأوامر هكذا • •

كان ينوى الرد عليه عندما قال هاتر بيير بصوت
أمر : لا ترد أيها الشاب وافعل ما أمرت به •
ثم غادر الحجرة •

دخل صاحب الخان لينظف المائدة وقال كوينتن :
من هو هاتر بيير ؟

كرر صاحب الخان في ببطء : من هو هاتر بيير ؟
كان عليك أن تسأله هذا السؤال بنفسك ياسيدي !

• ومن هي السيدة الشابة التي أحضرت الفاكهة ؟

- من هي ؟ انها سيده تقيم في هذا المنزل !

- هل لي ان اتشرف بالحديث معها ؟

تريد صاحب الخان وقال : السيدات لا تخرجن ولا
تستقبلن احدا !

قال كويتن : لقد استقبلت مائز بيير . هل تحمل
اليهما رسالتي ؟

ذهب صاحب الخان ثم عاد سريعا ليخبره ان
السيدات لا يستطعن مقابلته .

بعدها جفف كويتن ملايسه خرج من الخان وحاءه
صوت غناء جميل من نافذة مفتوحة . نظر عاليا لكن
ستارا اسدل سريعا على فتحة النافذة .

الفصل الثالث

الموت شيقا

خرج صاحب الخان ليخبر كوينتن أن رجلا جاء لرؤيته . دخل كوينتن الغرفة فرأى رجلا طوله ستة أقدام يرتدي ملابس الحرس الملكي الاسكتلندي .

قال بلافريه : حسنا يا بني ماذا تحمل من أخبار ؟

أجاب كوينتن : عندي أخبار قليلة طيبة يا خالي ولكنني سعيد بلقائك !

– كيف حال أختي ؟

أجاب كوينتن هي أسي : لقد ماتت !

قال بلافريه : ماذا ؟ لقد كانت تصغرني بخمسة أعوام ! أذن عند حيث انضم لحرس الملك الإسكتلندي ؟

أجاب كوينتن : لقد حيث لأعمل حديا في فرنسا لكنني سمعت أن سوق جورجوندي عبده جيش أعظم من جيش ملك فرنسا وأن في خدمته شرفا كبيرا .

قال بلافريه : انك تتكلم مثل صبي أحمق ، أن سوق جورجوندي حاكم جريء وأحمق وهو خطر كبير على فرنسا . إذا التحقت بخدمة الملك ستكون بين أصدقائك وأبناء وطنك - فكر في الأمر !

في تلك اللحظة سق ناقوس - فصاح بلافريه : ها ! . انه ناقوس كنيسة سان مارتان . يجب أن أعود مسرعا إلى القلعة . في الساعة من صباح الغد تعال إلى البوابة واسأل الجنود هناك عن بلافريه . سوف ترى الملك وتحكم بنفسك !

قال بلاقرية هذا وهرع مسرعا الى الخارج .

وفي الصباح التالي تاهب كوينتن للذهاب الى قلعة
بليسي ليتور . . على ربوة ترتفع عند النهر رأى
شجرتين أو ثلاثا من الأشجار الضخمة فاتجه صوبها
غارقا في افكاره . ربما كان يفكر في ايزابيل الجميلة .

فجأة سمع صراخا . جرى مسرعا أعلى التل فرأى
أمام عينيه مشهدا مفرعا .

كان هناك رجل معلق على شجرة وقد وقف حوله
عدد من الرجال . كانوا من الفجر وهم شعب غريب
لونه داكن وقد اى أوروبا من الهند منذ مئات السنين
ولم يحاول أحد من الفجر مساعدة صديقهم .

تسلق كوينتن بسرعة الشجرة وقطع بسكينه الحبل
فسقط الجسد ثقيلًا على الأرض . فتح كوينتن ملابس
الرجل المحيطة بالرقبة وصب الماء على وجهه محاولا
أن يعيده الى الحياة .

فجأة سمع صوت جياذ وصباح الفجر المحيطون

بالشجرة حيحات الخوف . أحس كوينتن بمن يمسك
به من الخلف ويقيد فراعيه واضعا سكيناً على رقبته .
فقال دون أن يرى الشخص الذي هاجمه : ماذا تفعل ؟
لقد انزلت الرجل من الشجرة لطيفة قليلاً . لماذا
تهاجمنى ؟

ظهر أحد الضباط وكان ترستان . الرجل الذي
قابلته عند شاطئ النهر برفقة « ماثر بيير » .

قال ترستان محدثاً جتوده : أمسكنا به جيداً إيشيل
وانذريه . سوف أعلم هؤلاء الناس كيف يخالفون أمر
الملك . توجد أشجار أخرى هنا ومعكم الحبال !

قال أحد الغجر القريين مشيراً الى كوينتن :
هو الفاعل . نحن لم نفعل شيئاً .

قيد الجود يدي كوينتن بسرعة خلف ظهره وأعد
جنديان آخران الحبل للشئق . رأى كوينتن الموت يقترب
حشيئاً منه . أين يجد القعدة ؟ وما الذي يتقذه الآن ؟

نظر حوله الى وجوه الجمع المحيط به ورأى وجهها

يختلف عن باقى الوجوه - وجه اسكتلندى طيب . .
وعندما أعاد للنظر لاحظ أن الرجل يرتدى زى الحرس
الملكى . فصاح : النجدة ! أنا من موطنك . ألن
يساعدنى أحد ؟ . ان خالى يدعى بلافريه . استدعوه
على الفور !

رفع الرجل يده وصاح صيحة عالية رنت على
جانبي التل . هل يمكن أن يكون بلافريه قريبا ؟ هل
يأتى فى الوقت المناسب ؟ تسلق أحد الجنود الشجرة
وأخذ يثبت الحبل فى غصن قوى .

سمع كوينتن عن بعد صيحة أخرى . دفعه الجنود
صوب الشجرة وكان الاسكتلندى قد اختفى . ربما
عاد أدراجه أسفل التل للقاء رفاقه .

كانوا الآن يضعون الحبل حول رقبتهم . ثم سمعت
صيحة قريبة . أحس كوينتن بالحبل يحيط برقبته .
كانت مسألة لحظات فهل تأتى النجدة فى الوقت
المناسب ؟ أغلق عينيه ظنا منه أن الأمل مفقود .

ثم سمع صوت فرسان على جيادهم ففتح عينيه
ليرى بلاغريه واقفا امامه ويجمع صوته .

صاح بلاغريه : « توقفوا ! يائى حق تشقرون فردا
من افراد الحرس الملكى الاسكتلندى ؟

استدار قائد الجنود الى بلاغريه وقال : هل هو
من الحرس الملكى الاسكتلندى ؟ .. اذا كان حقا
منهم فلماذا لا يرتدى زيهم ؟

اجاب بلاغريه : لقد انضم الى الحرس حديثا ولم
يعط زيه بعد .. ولكن تأكد انه من الحرس . يمكنك
ان تسأل لورد كراوفورد بنفسك .

بدا على الجندى الشك يرهة ثم أشار الى رجاله
الذين انزلوا الحيل .. رفع احد الجنود الاسكتلنديين
الحبل عن عنق كوينتن بينما فك الآخر وثاقه .

قال بلاغريه : تعال معى يجب ان تاتى الى القلعة
فى الحال ' .

وفى طريقهم ضحك بلافريه قائلاً : يبدو أن الأمر قد تقرر ، فبالأمس كنت غير ولثق من رغبتك فى الانضمام الى الحرس الاسكتلندى لك فرنسا ولكن يبدو أنك انضمت اليه بالفعل .

وعندما بلغا بوابة القلعة أعلق جنديان حراهما أمامهما . انتظرا هناك حتى أطل عليهما أحد الجنود يحرس من نافذة صغيرة فى الجدار . وأخيرا انفتحت البوابة الكبيرة وسارا الى الفناء الداخلى .

كان لورد كراوفورد رجلاً طويلاً سخيلاً . وعندما دخل بلافريه وكوينتن الغرفة كان مستغرقا فى القراءة فوضع كتابه جانباً وسال حائفاً : والآن ماذا تريد ؟
قص بلافريه قصته .

قال لورد كراوفورد : تسم مرة ستوقعنى فى المشاكل ؟ . . لقد أخبرتك مرارا وتكرارا ألا تتشاجر مع جنود الملك . . غير أننى لاحظ أن هذا الشاب لم يأت بهدف الأذى . أعطنى قائمة بالرجال الموجودين فى الكتيبة .

أخذ بلافرية كتابا كبيرا من أحد الصائيق الكبيرة
في ركن من أركان الغرفة ووضعها على مكتب اللورد
.. تناول لورد كراوفورد قلمه وخط شيئا داخل الكتاب .

ثم قال وهو يتنسم : لقد انضممت بالأمس الى
الحرس ليس كذلك أيها الشاب ؟

قال كوينتن : هل تتفضل ياسيدي ؟ ..

صاح بلافرية : هل جئت : .. هل تعطى الأوامر
لقائدك ؟ قل « نعم » أيها الفتى .

أجاب كوينتن : نعم .

قال لورد كراوفورد : « كوينتن دروارد ، أنت الآن
عضو في كتيبة الحرس الملكي الاسكتلندي ، أتعنى أن
تشرفنا . سوف تلحق بالخدمة صباح غد في البلاط
الملكي أنت وعمك وخمسة رجال آخرون .

الفصل الرابع

أوامر الدوق

كانت القاعة الكبيرة تغص بالبلاء والأمراء والخدم ، ولكنها لم تكن رائعة كما توقع كوينتن إذ أن معظم الحضور كانوا يرتدون ثيابا باكنة .

عند إعطاء الإشارة انفتحت الأبواب في نهاية القاعة . " افسحوا الطريق للملك ! " .

دخل لورد كراوفورد أولا بكامل ثيابه وسيفه

مرفوع ، ثم تبعه دوق أورليان وكان الملك أحد أعمامه .
ولأن الملك لم يرزق بأولاد فكان من الأرجح أن
يصبح أورليان ملك فرنسا القادم . ولهذا كان الملك
لويس يريد تزويج ابنته جوان لدوق أورليان . ثم تبع
الدوق الأسقف جون يالو خاتم الكنيسة وبصحبه
دونوا وهو صديق حميم لدوق أورليان وأحد أفراد
أسرته .

قال دونوا ليالو : هل يعرف جلالته الملك أن كوت
كرايغور جاء من عند دوق بورجوندى حاملا رسالة ؟
أجاب يالو : نعم يعرف . ما هو أوليفر دين يحمل
أوامر الملك .

وأثناء حديثهما هناك دخل رجل قصير يرتدى ثوبا
أسود ويحمل ثوبا أبيض على ذراعه . كان مجرد
خادم لكن الملك جعله صديقا له وكان من المعروف عنه
أنه يتمتع بسلطة كبيرة .

كانت كل الانتظار الآن مسلطة على باب صغير في
جانب القاعة . وكان كوينتن ينظر صوب الباب حتى

كان أن يسقط سيفه فجاءه أن انفتح الباب ودخل التاجر
- حائر بغير - الرجل الذي قابله عند شاطئ النهر
والذي تناول معه طعام الإفطار - كان حائر بغير هو
نفسه ملك فرنسا !

لمحت عينا الملك السريعة الشاب الإسكتلندي وسار
الملك الى حيث يقف كويتن قائلا : لقد قيس من أنك كنت
تتساجر ! .. ربما كان خطأ مني أن منحتك افطارا
شهيا أو ربما كانت خمر صاحب الخان قوية أكثر من
اللازم .

ثم أضاف وهو يستدير : بلأفريه ، صديقك الشاب
هذا طيب ولكن بداخله كثيرا من حمية الشباب !

في تلك اللحظة ، جاء دونوا لينحتي أمام الملك
قائلا : سيدي .. كنت كرافكور موجود خارج القلعة
ومعه رسالة من دوق بورجوندي . وهو يطلب المثل بين
يديك !

أجاب الملك : يطلب .. ألم تخبره يادونوا أنني
لا أرغب في مقابلته اليوم ؟ .. أنتى ذاهب للصيد .

— قلت له ذلك ياسيدى ولكن ...

قال الملك : حسنا . دعه يدخل !

وقف الحاضرون فى القاعة فى نصف دائرة تبعا
لتأسيبهم استعدادا للقاء الكونت .

دخل أحد الخدم وانحنى أمام الملك ثم أعطاه
رسالة . . نظر الملك فى الورقة ثم أعادها الى الخادم .

— لا احتاج الى رسائل لتعرفنى بالكونت كرافكور .
دع الكونت يمثل بين يدي !

دخل الكونت وانحنى أمام الملك ، ثم تكلم بصوت
جهير : أيها الملك ، يرسل اليك دوق بورجوندى قائمة
بالأخطاء التى ارتكبتها حاشيتك فى حقه . . ولكى
لا تنشب الحرب بين الحاكمين العظمين ، يلتزم ذلك
الدوق أن تقيم العدل . وأول مطالب سيدى أن يستدعى
الملك من لياج بعض أعوانه الذين يثيرون الشعب سرا
ضد أسقف لياج ، وهو خادم دوق بورجوندى الأمين .

صاح الملك : أعوانى فى لياج ! أعرف جيدا ان
مدينة لياج يحكمها الأسقف وهو أحد أفراد أسرة
سيدك وصديقه . ولا يوجد لى أعوان هناك وليست
عندى رغبة فى إيذاء صديق صديقى العزيز دوق
بورجوندى . وما هو « مطلب » سيدك الثانى ؟

أكمل الكونت قائلا : مطلب الدوق الثانى هو ان
يعيد الملك اليه ليدى هاملين وليدى ايزابيل سو كروا
اللذين هربتا من الدوق للاختباء هنا عند الملك !

سأل الملك حائقا : ومن قال ان هاتين السيدتين
تختبان فى هذه الانحاء ؟ عن قال انى استقبلتهما او
انى قمت بحمايتهما ؟ ان كانتا فى فرنسا فليس لى
علم بذلك .

قال كرافكور : سيدى * لقد رأى أحد الرجال السيدتين
فى خان لا يبعد كثيرا عن هذه القلعة . كما رأى ملك
فرنسا يرتدى ثياب التجار ويتحدث اليهما .

— احضر هذا الرجل . . ليقف فى وجهى ويرد
هذه الأكاذيب .

— تعرف جيدا ياسيدى أن هذا الرجل لم يعد حيا
٠٠ لقد كان يدعى زاميت ماجروبين وقد شنتقه بالأمس
مجموعة من جنودك ٠

قال الملك : بالطبع لقد شتق جنودى رجلا يدعى
زاميت ماجروبين ٠ كان لصا غجريا ٠٠ لقد تعرضنا
لكثير من المشاكل مؤخرا بسبب هؤلاء الفجر ٠٠ لكن
بقية قصتك ليست حقيقية ٠٠ لقد سمعت مافيه الكفاية
يمكنك أن تعود الى سيدك ولا تدعه يرسل الى رسائل
أخرى مثل هذه ٠

قال الكونت : أذن هل أفهم من ذلك أن الحرب قائمة
بين ملك فرنسا ودوق بورجوندى ؟ ٠٠ لقد أمرنى سيدى
أن أوضح لك أنه سوف يأتى بجيشه لتصحيح هذه
الاحطاء ان لم تفعل أنت ٠

بهذه الكلمات استدار الكونت وغادر القاعة ٠
والتفت الملك ليالو وقال بهدوء : تأكد من أن كونست
كرافكور يظل هنا خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة
٠٠ والآن دعونا نذهب الى الصيد !

الفصل الخامس

صيد طيب

كان الملك لويس ملك فرنسا أسعد حالا عندما كان
في مضمار الصيد . فقد تبع الخنزير البري عن قرب .
ولكنه أسرع بجواده حتى ترك خلفه كل أتباعه فيما عدا
كويشن الذي كان حصانه مفعما بالنشاط ، لأنه لم
يكن يحمل سوى جسد الشاب الخفيف .

وصل الخنزير البري الى أرض ناعمة جافة ولم يكن
من الممكن أن يعبرها فاستدار .

كانت لحظة خطيرة على لويس لكنه تقدم بجواده
مسددا رمحه للخنزير • كان الحصان خائفا • قفز
جانبا فاخطأ الملك في تسديد رمحه • قفز الملك عن ظهر
حصانه مسرعا حاملا في يده سيفا قصيرا • تقدم
الخنزير البرى وفى تلك الأثناء بينما تقدم منه الملك
لمهاجمته سقط على الأرض الناعمة فهجم عليه الخنزير
وأخطاه ثم استدار لمهاجمة الملك مرة ثانية • وكان
الملك يقوم من سقطته على الأرض • كانت حياته فى
خطر داهم •

فى تلك اللحظة ظهر كوينتن دوروارد على حصانه
ورأى الملك فى خطر • أسرع بحصانه متقدما وصوب
رمحه الى الخنزير البرى • وبينما كان الخنزير يقترب
من الملك المستلقى على العشب مرق رمح كوينتن فى
عنقه •

كان الملك الآن واقفا على قدميه • أسرع لنجدة
كوينتن وصوب سيفه الى قلب الحيوان المفترس • ثم
استدار ونظر الى الرجل الذى أنقذه •

وقال وهو يعيد سيفه الى مكانه : أوه ، أهو أنت
أيها الشاب الاسكتلندي ؟ . . لقد بدأت صيدك بداية
طيبة ودفعت ثمن افطارك في الخان . ساعدني لأمتطي
سهوة جوادى . . أنا معجب بك أيها الشاب وسوف
أعاونك . لا تثق في معونة أحد غيرى . . ولا تقل
شيئا عن موضوع الخنزير البرى . ان الملك لا يريد
أن يعرف أحد أنه احتاج للمساعدة !

في تلك اللحظة وصل عدد كبير من الأشخاص .
قال دونوا وهو ينظر الى الخنزير الضخم الراقد على
العشب : لقد قتلت وحشا عظيما ياسيدى !

أجاب الملك : نعم . نعم ، انه خنزير جيد . لقد
أخطأته برمحي وقتلته بسيفي !

ولنلاحظ أنه لم يقل شيئا عن معونة كوينتن له .

الفصل السادس

خدمة سريسة

فى مساء اليوم التالى ، كان كوينتن فى غرفة
بلافريه ، فتح الباب ودخل أوليفر دين ، التفت الى
بلافريه قائلاً : سوف يسعدك أن تعرف أن الملك سعيد
بهذا الصدى وقد اختاره لهمة خاصة .. عليه أن ...

صاح بلافريه فى دهشة بالغة : اختاره هو ؟ تعنى
أنا على ما أعتقد ؟

قال اوليفر دين : لا . لقد قصدت ما قلت . طلب الملك كوينتن دوروارد ويجب ان ترسله معى فى الحال .

استعد كوينتن بسرعة بينما انتظروه اوليفر . ثم ذهب مع اوليفر الذى قاده حول القلعة فى طريق سرية حتى بلغا فى النهاية قاعة كبيرة بالقرب من غرف الملك .

قال اوليفر بصوت عال : ستقوم بالحراسة هنا . لا تحدث صوتا ولكن راقب جيدا !

قال كوينتن : اراقب جيدا ؟ . . ولكن اراقب من ؟ . لا يوجد احد هنا !

اجاب اوليفر : انتظر وافتح عينيك !

تركه اوليفر وانتظر كوينتن هناك . كانت الساعة الآن بعد الظهر بساعتين ، وبدأ يشعر بالجوع . سار جيئة وذهابا فى القاعة وكان هناك بابان عند كل طرف من اطراف القاعة . ثم سمع صوتا . اقترب من الباب الجربى فسمع صوت الموسيقى وكان نفس الصوت

النسائي الذي سمعه في نافذة الخان . طافت كل أحلام
الأمس ثانية بخياله ووقف هناك مرهف السمع .

فجأة أمسكت يد قوية بذراع كوينتن .

ـ ها ! دوروارد ! .. هل تقوم بالحراسة وانت

نائم هنا ؟

التفت كوينتن وراى أن الملك نفسه كان قد دخل

القاعة بينما كان هو يحلم .. وقد دخلها هالبا من باب

سرى .

ترك لويس ذراع الشاب ثم ضحك قائلاً :

ـ هل تناولت غداءك ؟

لم يكن كوينتن يتوقع هذا السؤال . كان يتوقع

أن يرسلوا به الى لورد كروفورد لأنه فشل في أداء

واجبه .. اجاب انه لم يكن عنده شيء يؤكل .

قال لويس في صوت ناعم : يا للصبي المسكين . لقد

اصابه الجوع بالنعاس . اعرف كم هي كبيرة الرغبة

التي تأكلها .. هل تستطيع الانتظار ساعة أخرى
على الطعام ؟

أجاب كوينتن : أربع وعشرون ساعة ياسيدي .
لقد تعود شعب اسكتلندا على البقاء بدون طعام !

- سوف ألتقي ببالو وكويت كرافكور سراً في
غرفتي .. ومن الممكن أن يحوم الخطر حولي فلأنا
لا ألق بهما .. سوف تنتظر وتراقب وتستعد لاطلاق
النار !

قاد لويس الجندي الشاب عبر باب جانبي وعمره
بعدة غرف حتى وصل إلى النهاية إلى غرفة بها مائدة
أعدت للطعام . وفي أحد أركان الغرفة كانت هناك
ستائر أمر لويس كوينتن أن يختبئ خلفها .

- إذا ناديت عليك سوف تخرج في الحال وتطلق
النار . صوب جيداً إلى كرافكور . وإذا أخطأت
استخدم سكينك . أوليفر دين وأنا نستطيع التعامل مع
الو ..

دخل أوليفر دين الغرفة ، أخفى كوينتن نفسه ،
ووصل كرافكور وبالمو بعد ذلك بقليل . . لم يكن
كوينتن يستطيع أن يسمع ما يقال من موقعه واستمر الملك
وزائراه يتحدثون بصوت منخفض لمدة ساعة ونصف
الساعة ، كانوا أحيانا يضحكون ، ثم غادر الزائران
الغرفة في النهاية وغادرها أوليفر دين أيضا بعد ذلك
بوقت قصير .

نادى لويس على كوينتن من خلف الستائر وقال :
لم تنته بعد من المراقبة ، تناول بعض الطعام ثم أخبرك
بما تفعل غير ذلك !

ألقى الملك بنفسه ثانية على المقعد ووضع وجهه
بين راحتيه .

الفصل السابع

السيدات يدخلن

اتجه كوينتن صوب المائدة وأخذ يأكل . بعد برهة
رفع الملك رأسه ونظر إليه قائلاً : أرى أنك لم تنته بعد
من طعامك وأعرف الكمية التي تستطيع تناولها . المعدة
المتلثة لا تضر أبداً بعمل الرجل . خذ كأس نبيذ !

عندما أخذ كوينتن كفايته من الطعام قام الملك

وقال : اتبعنى !

ثم عاد به ثانية الى القاعة .

قال لويس : والآن تذكر أنك لم تترك أبدا مكانك .

لو سألك أحد قل أنك كنت هنا طيلة الوقت وانك لم
تر أحدا . والآن انصت الى . عليك أن تبقى هنا وتؤكد
أن أحدا غير أوليفر دين وأنا نفسي لن يدخل هنا هذا
المساء . سوف تأتي بعض النساء الى هنا ربما من
أحد أطراف القاعة وربما من الطرف الآخر . لا يجب
أن تتحدث اليهن . لا يجب أن تخبر أحدا بما قل . . .
إذا تحدثن اليك يجب ألا ترد . . دعهن يعتقدن أنك
كرجل اسكتلندي لا تفهم لغتهم . . هل تفهمني ؟ حسنا !
والآن خذ حذرك !

ما أن أكمل الملك حديثه حتى اختفى وراء أحد
الأبواب الصغيرة ووقف كوينتن هناك وحيدا . هبت
الريح على القاعة محدثة صوتا غريبا . تحركت الستائر
وظن كوينتن أنه يسمع أصواتا ، فراح يتساءل « هل هذا
صوت خطوات ايزابيل ؟ » « خفق قلبه بسرعة ليس
من الخوف ولكن من السعادة والأمل »

أخيرا سمع صوت باب يفتح فى يسر . دخلت امرأة ونظرت حولها فى حذر ثم أشارت لامرأتين أخريين فى الخارج . كانت الأميرة جوان ابنة الملك . . كانت قصيرة وسمينة وكانت عيناها واسستين زرقاوين وجلدها لونه أصفر . وشعرها طويل ذهبى . لم تكن جميلة . . وكانت ترتدى ثوبا من الحرير الأخضر اللفاتح جعلها تبدو أقل جمالا مما هى عليه .

كان الملك لويس يأمل أن يزوج ابنته جوان لدوق اورليان ولكن الدوق لم يكن يوافق على هذه الخطة . حتى ذلك الوقت .

دخلت سيدتان أخريان القاعة وراء الأميرة . . كانت أحدهن ليدى ايزابيل . وكان كوينتن عندهما لأنه ظنهما ابنة صاحب الخان . أما الآن وهو يراها ترتدى ملابس سيدات الطبقة العليا فقد بدا جمال وجهها النبيل واضحا لعينيه . وتعجب كيف أخفى عنه ثوبها حقيقة شخصيتها . غير أن ثوبها الآن كان فى مثل بساطة

ثوبها الأول تقريبا حيث كانت ترتدى ثوبا اسود داكنا
ولم تكن تضع اية حلى .

كانت السيدة الثانية التى تبعت الأميرة جوان داخل
الغرفة وتدعى هاملين اكبر سنا . . كانت تبلغ نحو
خمسة وثلاثين عاما وكان من الممكن ملاحظة آثار
جمال مضى عليها وكان واضحا من طريققتها فى الحركة
والحديث أنها تظن نفسها جميلة . كانت طويلة القامة
ومغرورة .

قالت ليدى هاملين شيئا بصوت منخفض فى اذن
رفيقتها . . استدارت ليدى ايزابيل ناحية كوينتن ونظرت
اليه . وظنها كوينتن تبسم له . ربما كانت ليدى
هاملين تتساءل ان كانت تستطيع الكلام دون خوف
من أن يفهم كلامها أحد .

قالت ليدى هاملين للأميرة جوان : أنا سعيدة لأنه
قد سمع لنا فى النهاية بلقائك . . لا أستطيع أن أقول
ان الملك لويس كان كريما معنا حتى هذه اللحظة . لم

يكن يسعدنا الاختباء فى خان صغير فى القرية . ومنذ
مجيئنا الى هنا كنا نعامل معاملة السجناء ولا يسمح
لنا بمغادرة حجراتنا قبل غروب الشمس .

أجابت الأميرة جوان : يوسفنى حقا أننا لم نستطع
استقبالكما بالشكل اللائق . أرجو أن تكون ليدى
ايزابيل راضية !

أجابت ليدى ايزابيل : كفت راضية . . فقد طلبت
الأمان فقط ووجدت السلام والهدوء ايضا ! . . كان
الملك كريما لاهتمامه بنا .

صاحت ليدى هاملين : لا تكوسى حمقاء . . يمكننا أن
نقول الحقيقة هنا فلا أحد يبعث الينا فيما عدا هذا
الجندى الشاب الوسيم وهو يقف وكأنه مصنوع من
الصخر . . لقد قال لى الملك انه لا يفهم لغتنا لذا فنحن
فى مأمن . عندما جئت الى هنا كنت أتوقع أن أدعى
الى الاحتفالات والعروض العامة لكنى لم ألق بأحد .
لا أحد سوى غجرى يدعى زاميت ماجرويين . ربما تكون

فكرة الملك هي أن يبقى علينا في السجن حتى نموت
لكي يستولي على أراضينا . . لقد عاملنا دوق
بورجوندي أفضل من ذلك . . لقد عرض على ليدي
إيزابيل زوجا . رغم أنه كان زوجا سيئا .

قالت الأميرة جوان : أنا أفضل الموت على الزواج
من رجل سيء .

أكملت ليدي هاملين قائلة : قد تحب المرأة أن تتلقى
عرضا بالزواج حتى وإن لم يكن الزوج مناسباً . لقد
قررت منذ زمن طويل ألا أتزوج . أراك تبسمين ولكنها
الحقيقة .

قادت الأميرة جوان السيدتين إلى أحد المقاعد حيث
جلسن ويتحدثن معا بصوت منخفض حتى أن كوينتن لم
يسمع شيئا مما قلن .

الفصل الثامن

كوينتن في مأزق

بعد نحو ساعة ، انفتح الباب عند طرف القاعة البعيد ودخل رجل يرتدى معطفا طويلا . تذكر كوينتن أوامر الملك وتحرك صوب الرجل ليقف بينه وبين السيدات .

قال كوينتن : يجب أن تغادر الغرفة في الحال !

قال الغريب في حلق : بأمر من ؟

أجاب كوينتن في حزم : بأمر الملك . لقد أشرت الا
أسمح بدخول أحد في هذه الغرفة .

أجاب الغريب وهو يطلع عنه معطفه : لا أحد الا
دوق أورليان !

ماذا يفعل كوينتن ؟ هل يرفع سيفه في وجه هذا
التبيل الذي سيتزوج ابنة الملك قريبا ؟

قال كوينتن : أيها الدوق ، أتعنى أن تخبر الملك
أنى أبلغتك بأوامره واتى لن الأم على ذلك .

قال أورليان : لن تلام على ذلك .

ثم تحرك صوب السيدات الثلاث وانحلى أمامهن
قائلا : لقد تناولت غدائي مع دونوا وقد قال لي انكن
في هذه القاعة . أرجو أن تسمعن لي بالانضمام اليكن .

بدت الأميرة جوان جميلة لوهلة حين دبت الحمرة
في وجهها فرحا . أشارت الى مقعد بجوارها وسألت
الدوق أن يجلس معهن . . لكن الدوق جلس أرضا عند
أقدام ليدي ايزابيل الجميلة ولم يتحدث الا معها .

مر بعض الوقت ولم تعد الأميرة جوان قادرة على حمل ذلك . ألقت بنفسها الى الوراء في مقعدها وأصدرت صوتاً متنفضاً .

نظر اليها الدوق سائلاً : هل انت مريضة أيتها الأميرة ؟

قالت : ألم مفاجيء . سوف أتحسن بعد قليل !

كانت تبدو حقاً مريضة . هب الدوق مسرعاً وجرى ينادي لأتباعها - ولكن بينما هو يجرى دخل الملك الى القاعة .

نظر الملك الى دوق أورليان وقال : اذن غابت هنا !

ثم استدار صوب كزيتن وقال : ألم أعطك أوامري ؟

قال الدوق : لا تلم هذا الشاب ياسيدي . لقد نفذ الأوامر ولكن قيل لي ان الأميرة جوان في هذه الغرفة .

قال الملك : وماذا في ذلك ، هل كنت متلفها للقائها حتى انك اقتحمت الغرفة ؟

كان يسر الملك أن يدعى الدوق أنه يحب ابنته رغم
أنه يعلم تماما أنه لا يحبها .

رفع الدوق رأسه كأنه ينوي الرد لكنه توقف .

قال الملك : هل جوان مريضة ؟ لا تبتنس يا عزيزي
الدوق . سوف تتحسن قريبا . أعطها ذراعتك وقدها الى
غرفتها وسوف أقود هاتين السيدتين الى غرفهما .

كان الدوق مضطرا للطاعة وعاد الجميع
الساعة .

بعد دقائق قليلة عاد الملك حاملا مفتاحا كبيرا .
أغلق الباب الذي خرجوا منه ثم سار صوب كوينتن
دوروارد في هدوء وعيناه مثبتتان على الأرض .

قال الملك وقد توقف على بعد ياردة من الجندي
الشباب : لقد أخطأت . . لقد أخطأت بشدة ويجب أن
تموت . . لا . لا تتفوه بكلمة واحدة ! ماذا يهيك أنت
لو كان الرجل دوقا أو خادما ؟ لا تهتم لشئ غير
أوامري .

قال كوينتن : ولكن ماذا كان في وسعي ان افعل
باسيدي ؟

— ماذا كنت ستفعل لو ان رجلا تعداك واقتحم
المكان ؟ .. لماذا تجعل سيدا " كان يجب ان تستخدم
سيدك .. كان الأفضل ان تموت في هذه القاعة بدلا
من ان تدعه يمر . اذهب الى هذا الباب عند نهاية السلم
حرفا تجد غرفة الوليفر دين . ارسله الى ثم اذهب الى
مرهتك .. واذا كنت تريد ان تبقى على قيد الحياة
تتفوه بكلمة واحدة عما رايت هذه الليلة !

الفصل التاسع

خدعة الملك

عندما دخل أوليفر بين القاعة وجد الملك جالسا على نفس المقعد الذي كانت تجلس عليه ابنته منذ دقائق . . . ولأنه خدم الملك زمنا طويلا فقد عرف أن سيده غاضب . لم يقل شيئا ولكنه تحرك مبتعدا عن نظره في انتظار أن يحدثه الملك .

قال الملك أخيرا : انن يا أوليفر ، هذه هي خططك

الحكمة .. خطط محكمة ! .. تختفى كما يختفى الدخان
بفعل الريح ١

قال أوليفر : يؤسفنى ألا يسير كل شيء بصورة
طيبة يا سيدى .

صاح الملك وهو يهب من مكانه ويذرع الأرض
جيفة وزهايا : تسير بصورة طيبة ١ .. كل شيء
سعى .. أسوأ ما يكون .. لماذا تصحتنى بأن أحمى
هاتين السيدتين ؟ .. أن دوق بورجوندى يستعد
بجيوشه وريعا تحالف مع انجلترا لهاجمتا .. انها
غلطتك .. أنت الذى قلت لى انه من الحكمة استقبال
السيدات ٢ .. وأنت الذى تصحتنى بأن أستخدم هذا الرجل
زاميت عاجرويين ليحمل اليهن الرسائل .

اجاب أوليفر : أنت تعرف الأسباب التى دفعتنى
الى ذلك يا سيدى .. ان أراضى ليدى ايزابيل تقع
بين بورجوندى وبين فرنسا ، كما ان قلعتها حصينة
جدا .. لو كانت فى صفنا فسوف تساعدنا كثيرا ضد

دوق بورجوندى • يجب أن تتزوج شخصا من أصدقاء
ملك فرنسا !

— لو أننا استطعنا إبقاءها هنا حتى نرتب لمثل
هذه الزيجة لكان ذلك أمرا طيبا • ولكن هذا الزاميت
ماجروبين ! • لماذا جئت بمثل هذا الرجل ليؤدى عملا
يتطلب الثقة ؟

أجاب أوليفر : الشمس منك أن تتذكر يا سيدى أنه
أنت الذى وثقت به الى حد بعيد • لقد قلت اننا لا يجب
أن نشق به ولكنك وثقت به • لقد اكتشف سرنا وأخبر
دوق بورجوندى وتسبب ذلك فى كل هذه المشاكل •

قال لويس : أشعر بالحجل الشديد ! ولكن ماذا
نفعل ؟ لا يمكن أن نستبقيهما هنا لأن ذلك من شأنه أن
يعرقل تنفيذ خطتى لزواج الأميرة جوان • هذه الليدى
إيزابيل ! • لقد رأها دوق أورليان عدة دقائق فقط .
ولكننى واثق أن رؤيتها سوف تجعل زواجه من ابنتى
أمرا عسيرا •

- تستطيع أن تعيد السيدتين الى بوجوندى
وتبادر بالسلام مع الدوق .

اجاب الملك : ولكن عندئذ لن ننفذ خططنا الثانية
.. وهى أن تزوج ليدى لأحد أصدقاء فرنسا . ولكن
أين أجد مثل هذا الصديق ؟ اننى لا ألق فى رجل
واحد ا

قال أوليفر : ربما هى لا ترغب فى الزواج من
لامارك .

اجاب الملك : لا أظن أن لامارك سوف يسمح لها
بالاختيار .

- ولكن كيف ندير له فرصة لقائها ؟ أنت تعرف
ياسيدى انه لا يجرؤ على مغادرة غابته .

قال الملك : يجب أن نرتب لذلك . يجب أن نقول
للسيدتين أننا لا نستطيع استبقاءهما زمنا طويلا فى
البلاط لأن ذلك سوف يسبب حربا بين فرنسا
وبوجوندى .. يجب أن نقول لهما ان هذا هو سبب
مغادرتهما لملكنا .

قال أوليفر : سوف تطلبان الانتقال الى انجلترا .

اجاب الملك : لا ، لا ، لا يمكنهما الذهاب الى هناك . يجب أن يرحلا سرا الى لياج . ان اسقف لياج صديقي دوق بورجوندى . لكن شعب لياج يخطط للاستيلاء على القلعة لكي يحكم نفسه بنفسه . وقد ساعدته سرا في خطته هذه . دعنا نرسل السيدتين الى لياج ونخبر لامارك في نفس الوقت برحلتهم . يمكنه عندئذ الإمساك بهما وهما في الطريق ، او اذا بلغا لياج سوف يكون ذلك سببا لكي يساعد لامارك اهل لياج ضد عدونا الأسقف . هل تعجبك هذه الخطة يا أوليفر ؟

قال أوليفر : خطة محدمة . ولكنني أشفق على الليدى . ان أقل خادم عندك سيكون زوجا مناسباً لها أكثر من لامارك .

اجاب الملك : « ويليام دو لامارك من أسرة نبيلة مثل أسرتي . يجب أن أخبر السيدتين الآن بالرحلة السرية . ويجب أيضا أن أرسل خطايا الى لامارك لكي

يختار الوقت والمكان المناسبين لمغازلة زوجة المستقيل .
أعرف شخصا مناسبا للسفر مع السيدتين .

قال أوليفر : هل لي أن أسأل من تنوى إرساله ؟

أجاب الملك : رجل لا أصدقاء له ولا عائلة في فرنسا
يعرف القليل عن هذا البلد ولن يخمن خطتي . . رجل
سوف يفعل فقط ما أمره به . انتهى أنوى إرسال الشاب
الاسكتلندي الذي رأيته الآن !

- هل أنت متأكد من اخلاص هذا الشاب ؟

- سوف أحرص على ألا تواتيه الفرصة للخيانة
لأنه لن يعرف سوى أنه سوف يصطحب السيدتين الى
أسقف لياج . . لن يعرف شيئا عن وليام دولامارك ولن
يعرف أحد بهذا السر سوى الدليل . يجب أن تجد
الشخص المناسب ليدهم على الطريق !

الفصل العاشر

هجوم على الطريق

فى صباح اليوم التالى استدعى كوينتن الى غرفة لورد كراوفورد - وراى لدهشته الملك هناك ، بدأ الملك يتحدث عن : الشرف » و « الثقة » و « طاعة الأوامر » . . . خاف كوينتن أن يطلب منه الحراسة مرة ثانية كما حدث فى الليلة الماضية - ثم فرح كثيرا حين سمع أنه سوف يصحب ليدى ايزابيل وليدى هاملين الى بلاط أسقف لياج - وقد أعطى ورقة دونت بها الأوامر الخاصة

برحلته . أين يبقى كل ليلة . . والطريق التي يجب
اتباعها .

ابتهج كوينتن كثيرا حين جال بخاطره أنه سيكون
شديد القرب من ليدى ايزابيل . ولم يكن يخاطبه شك
أنه يستطيع ايصالهما بنجاح حتى نهاية الرحلة .
وقد أمر أن يستعد للرحيل هذه الليلة .

وفي تلك الليلة قبل الثانية عشرة بضع دقائق ،
وقف كوينتن في الساحة خارج البرج الأكبر الذي تقيم
فيه السيدتان . وجد هناك في انتظاره رجالا وجيادا .
لم يكن أحد يتكلم . امتطى الرجال جيادهم في صمت
وكانوا ثلاثة . ثم جاء قريستان وأسر لكوينتن أن أحد
الجنود سوف يقودهم في الليلة الأولى وسوف يلحق
بهم المرشد الآخر في الطريق .

تحركت الاضواء خلف نوافذ البرج ثم في النهاية
انفتح باب صغير وخرجت منه ليدى هاملين وليدى
ايزابيل ومارتون الخادمة التي رودهما بها الملك .

امتحطين الجياد المعدة لهن فى صمت وتحرك الركب
صوب البوابة ، حيث كان هناك رجل يخفى وجهه .

قالت له ليدى ايزابيل : لتباركك السماء يا سيدى
على كرمك . لقد كان املى كله أن اظل امنة فى حماية
أسقف لياج الطيب .

لم تطلق ردا . وفكر كوينتن أن الرجل الذى كانت
تحدث اليه هو الملك نفسه .

عبروا البوابة متجهين صوب المغابة . ظهر القمر
خلف السحاب وألقى بضوئه الفضى على الأرض .
كان بإمكانهم رؤية نهر اللوار ينساب بين ضفتيه .
اللذين تحفهما القلاع والحدائق فى أغنى وديان
فرنسا . . . وعند الأفق كانوا يستطيعون رؤية أسوار
مدينة تور تقف فى ضوء القمر بيضاء اللون ، وأبراج
كنيستها العالية ، ثم ساد الصمت .

سار الركب بالسيدات عدة ساعات وخاف كوينتن
أن يصيبهم الارهاق فسال الجندى عن مكان استراحتهم
القادمة .

ـ سوف أدلك اليه بعد نصف ساعة .

أجاب كوينتن : ثم تتركنا بعد ذلك ؟

أجاب : نعم ياسيدى . . سوف يقابلكم مرشد آخر هناك .

اختفى القمر الآن وبدأ ضوء النهار الوردى ينير السماء وينعكس على مياه بحيرة صغيرة كانوا يسيرون على ضفافها . كان الوادى القسيح يمتد خلفهم وامامهم تمتد الغاية .

فجأة سمع كوينتن السيدات يصرخن معا :

انظر خلفك ! انظر خلفك ! بحق السماء ! خذ حذرك ! انهم يطاردوننا !

نظر كوينتن خلفه بسرعة ورأى رجلين مسلحين فى أعقابهم ، يقودان جيادهما بسرعة شديدة الى حد أنهما اقتريا من الركب . سأل كوينتن أحد الجنود :

من هؤلاء ؟ . . هل تظن أنهما من رجال الملك ؟

**قال الرجل : لا . انهما ليسا من الجنود . أخشى
أن يكونا من الأعداء . . انهما من الخيلاء !**

التفت كوينتن الى السيدات قائلاً : تقدمن ناحية
الغابة ولا تسرعن . . لا تدعن أحدا يظن أنكين تهربن . .
سوف نبقى نحن هنا لنلاقي هذين الرجلين ونعرف من
يكون .

استمرت السيدات في طريقهن . . وبعد عدة دقائق
وصل النبيلان واتجه أحدهما صوب كوينتن صائحاً :
أنت ، أيها الفتى ، أفسح الطريق ! لقد جئنا لناخذ
السبيدتين لأنكما لا تستحقان العناية بهما !

**قال كوينتن : أود أن أعلمك أنني أحمل أوامر
الملك ، أستحقها أو لا أستحقها . والسيدات يرغبن في
أن يكن في رعايتي !**

أجاب الرجل : كيف تجرؤ ؟

ثم استدار عائداً بجواده الى مساهة نحو مائة
ياردة .

التفت كوينتن ورأى أن السيدات كن على مسافة
 آمنة . ورأى ليدى ايزابيل تشير اليه بمنديلها لتمنحه
 القوة والشجاعة ، قائد حصانه صوب الأعداء هو ورجاله
 ليلقاهم في منتصف الطريق ، أصاب رمح أحد رجاله
 وقتله ، وتمر رمح آخر فوق كتف كوينتن الأيمن وجرح
 وجهه . صوب كوينتن رمحه الى صدر عدوه وألقى به
 أرضا . قفز كوينتن من فوق ظهر حصانه ولكن النبيل
 الآخر كان أسرع منه ، فوصل الى الأرض قبله
 ووقف بينه وبين صديقه صائحا : اذهب ! . . اذهب
 . . وارح سيداتك ! لقد تسببت في أذى كبير هذا
 الصباح !

قال كوينتن : يجب أن أرى أولا من الذى تعامل
 معه . يجب أن أعرف من الذى تسبب في قتل رجلى ؟
أجاب الآخر : لن تعرف ذلك أبدا ، وإذا بلغك
 علم به فلن تحيا لتقوله .

وبينما هم النبيل يرفع سيفه ليضرب كوينتن ،
 صرخت صرخة : توقف باسم الملك ! عندئذ رأى كوينتن



والقاء كوينتن على الأرض !

في دهشة أن قائده ، لورد كراوفورد ، جاء على رأس
كتيبة من الرجال .

التفت النبيل الى لورد كراوفورد وأعطاه سيفه
قائلا : كراوفورد . . اننى أسلم نفسى لك ، ولكن أنصت
الى - كلمة فى اذنك - أرجو أن تنقذ دوق أورليانز ا

صاح لورد كراوفورد : ماذا ، دوق أورليانز ؟

قال بونوا : لا تسال ، انها غلطتى - لقد جئت معه
لكى نختطف ليدى ايزابيل ! . . احتجز رجالك ولا تدع
احدا منهم يراه .

أمر لورد كراوفورد رجاله بالتراجع الى مسافة
قصيرة . بعد برهة ، فتح دوق أورليانز عينيه وقال
بصوت واهن : هل لى أن أخاطب السيدات الحميلات ؟
أجاب لورد كراوفورد : لا ، ولا كلمة واحدة .

ثم التفت الى كوينتن وقال : لقد قمت بواجبك أيها
الفتى الشاب . . ارحل وأطلع أوامر الملك . فليرعك الله
يابنى .

ثم أضاف : لقد بدأت تؤدى عملك فى شجاعة .

الفصل الحادى عشر

هل هو أهل للثقة ؟

وفى اثناء سير كوينتن ، التفتت اليه ليدى هاملين قائلة : اعتقد ياسيدى انك حريق لما احرزته من نصر ؟

قال : لقد شعرت بالأسف لدوق أورليانز . سوف يرسلون به الى السجن غالبا . وربما يقتلونه .

قالت ليدى هاملين وهي تلتفت الى ايزابيل : لقد كان دوق أورليانز اذن . . لقد طفئته هو ولكننا كنا

يعيددين فلم نر بوضوح . . لو أنه فقط نجح في ذلك !
لكان من الممتع أن يختطفنا الدوق أثناء رحلتنا !

اجابت ليدى ايزابيل غاضبة : أنت لا تعنين ماتقولين .
يسعدنى أن ينجح صديقنا ، وأنا أشكره على صنيعه
الشجاع !

قالت ذلك ونظرت الى كوينتن الذى التفت اليها
فرأت الدماء تسيل على جانب وجهه .

صاحت : لقد جرح . انزل عن صهوة جوادك
ياسيدى ودعنى أضمد جرحك !

اضطر كوينتن الى النزول عن جواده ، وجلس على
ضفة مجرى مائى صغير بينما قامت السيدتان بتضميد
جرحه . وكان علاج الجرح أكثر ايلاما من المعركة
نفسها . فجرح في الوجه أمر هين لكن الجرح الذى
تسبب فيه أصابع سيدة شابة رقيقة ربما يكون أكثر
ايلاما لقلب المقتى الشاب .

كان الجندى الذى يرشداهم الى الطريق قد قتل

في المعركة • وبدأ كوينتن يشعر بالخوف أثناء السير
من أن يكون قد أخطأ المكان الذي سوف يلتقى فيه
بالمُرشد الثاني • وأخيراً سمع صوت طلق نارى ورأى
رجلاً يقترب منهم على حصانه الصغير الذى تبدو عليه
سِيّما التوحش • اقترب منهم راكب الحصان وبدأ أنه
يحسن ركوب الخيل ، لكن ملبسه كانت غريبة • كان
يحمل على جانبه سيفاً هندي الصنع ، وكان وجهه أسمر
اللون وعيناه سوداوين لامعتين •

قالت السيدتان : « أنه من الفجر • يبدو أنه زاميت
ماجروبين • هل يثق الملك ثانية فى هؤلاء الناس ؟

قال كوينتن : سوف استجويه أن اردتن ذلك
واتأكد ان كان أهلاً للثقة •

كان سؤال كوينتن الذى يادره به : هل تبحث عنا ؟

اجاب الفجرى : نعم !

ـ لماذا ؟

- لكى أرشدكم الى لياج !

- لمن فى لياج ؟

أجاب : لأسقف لياج . . .

- وماهى الكلمات التى أستطيع أن أعرفك بها ؟

قال الفجرى : هذه هى الكلمات : قتل الخادم
الخنزير ولم يقل شيئا .

- ما اسمك ؟

أجاب الفجرى : « خيرادين » .

قال كوينتن : هو رجلنا . أرشدنا يا خيرادين . .
سوف أتحدث معك فيما بعد .

ثم التفت الى السيدتين قائلاً : أنا متأكد أن هذا
الرجل هو المرشد الذى نتوقعه ، لأنه أخبرنى بشيء
لا يعرفه أحد غير الملك وأنا . ولكنى سوف أتحدث معه
أكثر من ذلك لأعرف الى أى مدى يمكننا الوثوق به .

اتجه صوب الرجل وسأله : هل أثق بك إذا
أعطيتك مالا وغيروا ؟

أجاب الرجل : لا ، المال لا يجعلني مخلصا .

سأل كوينتن : وما الذي يجعلك مخلصا ؟

أجاب : الطيبة . . ولكنك كذت طيبا معي !

صاح كوينتن في دهشة : وكيف ذلك ؟

— هل تذكر الأشجار على قمة التل والرجل الذي
انزلت جسده من الأشجار ؟ لقد كانت جثة أخى ، زاميت
ماجروبين .

أخو زاميت ماجروبين . . . لقد رأى زاميت
ماجروبين السيدتين في الحانة وهو الذي شفق (لحسن
حظ الملك) ولهذا السبب لم يستطع كونت دوكرافكور
أن يقدمه . والآن يخدم أخوه خيرادين ملك فرنسا
كمارشد للسيدتين . فهل يثق به ؟ من الذي يخدمه

خيرادين حقا .. هل هو خادم ملك فرنسا أم أنه
خادم دوق بورجوندى ؟ الى أى مدى يمكن الوثوق
به ؟ .. كان هذا هو السؤال الذى ألح على ذهن
كوينتن .. !

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

الفصل الثانى عشر

الخطر الى اليسار !

فى اليوم العاشر من الرحلة بلغ المركب بلدة نامور
• • وقد تفكر كوييتن أنه من الحكمة أن يسأل هنا عن
الوضع فى لياج • فى المساء ، عندما أوت السيدتان
الى الفراش ، سار فى الحديقة مع السيد الذى يستقبلهم
فى بيته • قال سائلا : هل من الأمن أن تذهب حقا الى
لياج ؟

نظر السيد في حذر حوله ليرى أن أحدا لا يستمع اليهما ثم أجاب بصوت منخفض : كانت هناك قلاقيل كثيرة في لياج رغم أن الوضع حاليا هادئ . أن أسقف لياج وهو حاكم المدينة صديق دوق بورجوندى وعضو في أسرة الدوق . أنه رجل طيب لكن أهالى لياج يكرهون الدوق ويرغبون في حكم مدينتهم بأنفسهم . يقال أن ملك فرنسا أرسل رجالا لمساعدة أهل المدينة ضد الأسقف . لأن ملك فرنسا كما تعلم يعتبر الدوق أعدى أعدائه . وفي بلدة بالقرب من لياج هناك رجل من أسرة طيبة ولكنه رجل سيئ الطباع .

قال كوينتن : هل تقصد وليام دولامارك ؟

أجاب السيد : نعم . وهو يدعى أيضا « وليام ذو اللحية » و « خنزير الغابة البري » . لقد جمع لامارك عصابة من أكثر من ألف رجل وهو يعتبر نفسه حرا ولا يدين بالاحلاص لا للملك ولا للدوق . أنه لص . يسرق المال ممن يملكونه ولا يخاف الله ولا البشر .

قال كوينتن : ان هذا لمثير !

وبعدما غادره السيد ، استمر كوينتن فى التجول
فى الحديقة مستغرقا فى أفكاره . . الملك دوق بورجوندى
. . وليام دولامارك . . لن من هؤلاء الثلاثة يخلص
المرشد ؟ . . أم أنه لا يخلص لأحدهم ؟ !

بينما كان كوينتن يقف هناك ، مر شبح فى الممر
وخرج من البوابة . كان خيرادين . . تبعه كوينتن
وقال لنفسه : ان صديقى يجرى بسرعة ولكن يجب أن
يجرى أسرع من ذلك لو أراد أن يفلت منى . فلأتبعه
سرا وأرى أين يذهب .

عبر خيرادين أحد الحقول حتى وصل الى ضفة
مجرى مائى صغير . توقف هناك وصاح صيحة غريبة
منخفضة تشبه صيحة طائر . جاءه الرد من بعيد .

فكر كوينتن : لقد دبر للقاء هنا ، فلا أترب أكثر
وأُنصت لما سوف يقال !

هبط فى حذر فى مجرى الماء وأخفى نفسه تحت

منحدر الضفة وراح يتقدم فى بطء وهدوء من المكان الذى يقف فيه خيرادين بالقرب من شجرة كبيرة تتدلى أغصانها فى الماء . رفع كوينتن رأسه فى بطء مختلفيا تحت الأغصان وكان فى استطاعته أن يرى الرجل الذى يتحدث اليه المرشد . كان جنديا طويل القامة قويا ، وكان يتدلى الى جانبه سيف طويل وفى صدر معطفه شارة فضية صغيرة هى شارة قائده . كان يضع قبعة صغيرة على جانب رأسه ، ينسدل تحتها شعر غزير أحمر اللون مثل لحيته . وكان فى يده رمح طويل . كان كوينتن يعرف هذا الرجل ، فهو أحد جنود وليم دولامارك .

قال الجندي : لماذا جعلتنى أنتظر ك هنا طويلا ؟

أجاب خيرادين : لم اكن أستطيع رؤيتك قبل ذلك ، فالاسكتلندي الشاب يراقبني ، أرى أنه لا يثق بي وأخشى أن يعود بالسيدتين الى فرنسا ثانية .

— أوه ! إذن سوف نباغتهم غدا . ونختطف السيدتين قبل أن يذهبن بعيدا !

جسور ويعرف جيدا كيف يستعمل السيف ، دعنا
نحتفظ بخطتنا كما هي ، سوف تهاجمنا أنت ورجالك في
حانة « الملوك الثلاثة » !

بعد ذلك ابتعدا قليلا وراحا يتحدثان بصوت منخفض
ولم يتمكن كوينتن من سماعهما ، بعد بضع دقائق ،
استدار الجندي مبتعدا وعاد خيرادين أذواجه الى
البيت .

انتظر كوينتن حتى اختفى كل منهما عن الانظار
ثم عاد الى البيت من طريق بعيد ودخل الحديقة من
الجانب الآخر وعندما بلغ حجرتة نظر في الورقة التي
أعطيت له لتدله على الطريق الذي يساقرون منه . كان
عليهم الذهاب الى لياج عن طريق الضفة اليسرى
لنهر موز وكانت حانة « الملوك الثلاثة » في طريقهم .

الفصل الثالث عشر

نفيير في الخطبة

عندما استعدوا للرحيل في الصباح التالي كانت سيدتان مندهشتين لحصمت كوينتن .

قالت ليري هاملين : ألم ينم رفيقنا الشاب جيدا ؟
هل رأى حلما سيئا حوله يتحدث قليلا ويبدو حزينا ؟

اجاب كوينتن : نعم ، هذا حق ، فقد رايت انشاء
للليل شيئا اقلقني !

سالت ليدى ايزابيل : هل اذت مريض ؟

قالت ليدى هاملين : لقد سهر ليحتسى الخمر مع
الرجال !

اجاب كوينتن : لا يا سيدتى الرقيقتين ، بالأمس
لم أشرب شيئا سوى الماء ، كان يجب أن اكون حذرا
جدا وارجو أن تثقا بى ، نحن فى خطر !

قالت ليدى ايزابيل : اعرف ذلك منذ اللحظة التى
بدأنا بها هذا الصباح ، نحن نثق بك حقا ، لو اذك
خبيت اماننا فلن اثق فى رجل بعد ذلك أبدا !

قال كوينتن بصوت منخفض : اننى ارجو منكما أن
تثقا بى وأن تفعلما ما اطلبه منكما ، ان أوامر الملك
تقول اننا نسافر على الشاطيء الأيسر للنهر ، واننا
أطلب منكما السفر على الشاطيء الأيمن ولدى سبب
قوى يدعونى الى هذا الطلب .

قالت ليدى هاملين : ألا نطيع أوامر الملك ؟

أجابت ليدى ايزابيل : طبعاً ، لو كانت الأوامر
طليبة . ولكن اذا كان هناك خطر ما غير متوقع يجب أن
نتصرف بحكمة . سوف نساغر على الضفة اليمنى !

ذهب كوينتن الى خيرادين وقال له : سوف نساغر
على ضفة النهر اليمنى !

أجاب المرشد : ليس هذا أفضل طريق الى لياج .
وقد أمرت أن أتودكم عبر الضفة اليسرى .

قال كوينتن : سوف نقودنا الى الضفة اليمنى !

أجاب خيرادين : يجب أن أفعل ما تريد . . . ويمكنك
أن تشرح للملك فيما بعد لماذا عصيت أمره .

الفصل الرابع عشر

لياج

نشرت شمس الأصيل اشعتها الذهبية فوق أسطح المنازل العامرة بمدينة لياج وكانت تفصل بين فريقنا والمدينة مسافة كبيرة . كان أسقف لياج عاتدا من زيارة الى المدن المجاورة تحيط به كوكبة من اللوردات والجند وموظفي الحكومة . تسبقه وتتبعه كتيبة من الفرسان المدججين بالسلاح . وكان من الواضح أن الأسقف لم يكن يشعر بالأمان .

بعد وقت قصير وصل كوينتن ومجموعته عند
الأسقف . قدم الاسكتلندي الشاب نفسه وسار الجميع
صوب المدينة في أزقة ضيقة تصعد بهم الى القلعة ، حيث
وضع كوينتن السيدتين في رعاية الأسقف .

هكذا ، تمت مهمته .

جلس كوينتن بجوار احدي الثوفاذ في قاعة القلعة
الكبيرة وقد فاض قلبه بالأفكار الحزينة . كان يحزنه
ابتعاده عن ليدى ايزابيل ، وربما لن يراها مرة ثانية .
وربما أيضا يكون هذا في صالحه ، فما فائدة الأحلام
أو حكايات الحثيات التي يتزوج فيها الرجال من
الأميرات ؟ . . فمثل هذه الأمور لا تحدث في الواقع !

وبينما كان كوينتن جالسا هناك سمع وقع خطوات
فنظر عاليا ليجد خيرادين واقفا أمامه . قال : ماذا
تريد ؟ . . تكلم وارجل عني بسرعة !

- أريد مايريد الرجال كلهم رغم أن قليلين منهم
يرضون بذلك . أريد راتبي !

قال كوينتن بشراسة : اتجروا على طلب راتبك وانت تعلم أنك كنت ستسلمنا لجنود وليم دولامارك ؟ !

- ولكني لم أسلمكم لجنود وليم دولامارك .. لم يحدث أي هجوم ووصلتم إلى لياج بسلام .

أجاب كوينتن : لا ، لم تفعل ذلك لأنني سلكت الضفة اليمنى للنهر .. هاهي نفودك .. اذهب الآن إلى خنزير الغابة ، سيدك .. وابتعد عن نظري لأن سيفي حاد !

قال خيرادين وقد اعترقه الدهشة : خنزير الغابة ؟ هل غيرت طريقك لأنك خمنت شيئا ، أو - آه ، كانت هناك شجرة ضخمة وقفت عندها لأتحدث مع صديق لي ، يالهي من أحمق ! لقد رأيته تنظر ناحية هذه الشجرة ونحن نمر بها في الصباح التالي . ليكن هذا درسا لي كي لا أنطق بالأسرار إلا في سهل مفتوح ، ها ! ها ! لقد انتصر على الاسكتلندي الشاب !

هـب كويتتن غاضباً من مقعده ولكن خيرادين لم
يخف . واستدار كأنه سيرحل ثم عاد . والتفت اليه
ثانية قائلاً : أعرف أمالك وهي آمال جسورة . ولكن
استمر لأنى سوف أساعدك . . أعرف مخاوفك . كن
حكيماً ولكن لا تخف . يمكن أن تفوز بأية امرأة لو
كنت شاباً شجاعاً وصارفاً !

ثم فى لحظة كان قد غادر المقاعة .

الفصل الخامس عشر

العاصفة تتجمع

هناك حقيقة يعرفها كل المحبين وهي أن رحلة طويلة
تريح القلب .

خرج كوينتن الى طرقات لياج . كانت المازل
العالية تحيط به من الجانبين في شوارع ضيقة مظلمة ،
وكان الناس يسرعون في كل اتجاه وعربات نقل البضائع
تتقدم بصعوبة وهي محملة بالبضائع الثمينة . وكانت
الكبارى الصغيرة تعبر عددا من المجارى المائية

النسابة هي كل مكان من المدينة . دخل الكنيسة القديمة
وكان الباب مفتوحا تنساب عبره أصوات غداء . توقف
برهة هناك وراح ينظر في الظلام الذي تضيئه مصابيح
متوهجة في المؤخرة البعيدة .

في النهاية استدار وراح يهبط السلم ثم اكتشف
أنه وسط جمهور كبير وكانوا جميعا ينظرون إليه . كان
هناك صوت همهمات غاضبة وكان الجميع ينظرون إليه
في فضول . وبينما كان يتقدم كانت الجموع تفسح
له مكانا ليمر ثم تعود لتلتحم مرة أخرى . وكلما تقدم
زاد حجم الجموع وصارت تضغط عليه . فظفر
كوينتن حوله ووقع بصره على رجل ضخم الجثة يرتدى
ثوبا من الحرير الأحمر ويبدو تاجرا ثريا .

قال كوينتن للتاجر : هل أخبرتنى يا سيدى لماذا
ينظر الي هؤلاء الناس ؟ هل هناك شيء غريب في
ملي أو هيتي ؟ أم أنها عادة أهل لياج أن يلتفوا حول
أي غريب يزور مدينتهم ؟

اجاب التاجر : بالطبع لا ياسيدي فأهل ليلاج ليسوا من الفضول بحيث يقضون وقتهم في النظر الى أي غريب ، وليس هناك ما هو غريب في ملابسك الا أنه ثوب يسعدنا أن نراه وأن يبدى له احترامنا !

قال كوينتن : انك شديد الأدب ياسيدي ولكني لا أفهم ما تعنيه .

اجاب التاجر : ان الطريقة التي تتحدث بها الفرنسية تثبتني ان طني في محله ، أعتقد انك احد رجال المحرس الاسكتلندي الملكي !

ثم قال الرجل المهذب بصوت منخفض في اذن كوينتن : اسمي باشيون . هل تفهم ؟

اجاب كوينتن : لا . لا أفهم . وما علاقتي بك ؟

قال الرجل ، اوه . . . لا شيء . . . ولكني ظننت انك تريد ان تعرف ان باستطاعتك الوثوق بي . هذا هو صديقي روسلين . . .

تقدم روسلير وكان سميئا والتفت ناحية صاحبه
قائلا : بافيون هذا المكان مفتوح جدا . يجب ان ياتي
السيد الى منزلك او الى منزلي ليشرب كأس نبيذ
معنا . عندئذ يستطيع ان يدلي لنا بما عنده من اخبار .

قال كوينتن : ليست لدى اخبار لأي منكما ،
ولا أرغب في شرب النبيذ . انني اسألكما فقط ان تبعدا
هذه الجموع وان تسمحا للغريب بمغادرة مدينتكم في
هدوء .

قال روسلير : حسنا . . . ياسيدي ان اردت ان
تتكم الامر فلماذا تضع هذه العلامة على رداك وهي
تدل الجميع على حقيقة شخصيتك ؟

— ولماذا يهمهم من اكون ؟ ما اهمية ان اكون من
حرس الملك الاسكتلندي ؟ لماذا تتعجبان لذلك ؟

صاح روسلير وبافيون وهما يلتفتان الى الجمع
قائلين : انه من الحرس ، يقول انه من الحرس ! . . انه
من حرس الملك لويس الاسكتلندي . . ملك فرنسا حامى
حمى اهل لياج .

علت صيحة عظيمة من الجمع المحتشد :

يحيا الملك لويس ملك فرنسا ! يحيا الحرس
الاسكتلندي ! . . حقوقنا أو الموت ! . . يحيا خنزير
الغابة ! يسقط دوق بورجوندى ! يسقط الأسقف !

علا الهتاف حتى بلغ عنان السماء مثل البحر
الهادر . كان يجب أن يفعل شيئا بسرعة . ولم يكن
الهرب ممكنا . التفت كويتنن الى بافيون وقال :

انها غلطة . لقد ارتديت هذا الثوب خطأ . لا أريد
أن يتعرف على أحد . خذنى بسرعة الى بيتك حيث
أخبرك بشيء خطير !

أحدثت هذه الكلمات أثرها المطلوب ، قالوا : سوف
نخرجك من المدينة ويمكنك أن تعود إلينا أثناء الليل ،
أين تسكن ؟

أجاب كويتنن : فى قلعة الأسقف . لقد جئت
برسالة من ملك فرنسا الى الأسقف . وهذا سبب
رحيلى .

صاروا في طريق ضيق ثم فجأة أصك باقيون بذراع
كوينتن قائلاً : هذا هو بيتي .

دفعه عبر باب جاني صغير . وعندما أصبحوا في
مأمن داخل المنزل ، قدم باهيون كوينتن إلى زوجته
وابنته الجميلة نرودشن . حضرت الزوجة ثوباً
جديداً لكوينتن بينما ذهبت الابنة نرودشن إلى الحديقة
لتجهز قارباً .

هبط كوينتن من القارب على بعد نصف ميل من
القلعة . وما أن بلغ القلعة حتى دق النافوس معلناً
موعد العشاء . عندما بلغ القاعة الكبيرة كان الجميع
قد اتخذوا أماكنهم . خرج كوينتن سبب تأخره وقص
عليهم ما حدث لهم وعندما انتهى من قصته راح يضحك
عالياً .

ولكن أحداً من الحضور غيره لم يضحك .

خيم الصمت على الجميع ثم قال الأسقف في
النهاية : أتمنى أن تأتي كتيبة المائة فارس التي أرسلها
دوق بورجوندي بسرعة !

الفصل السادس عشر

هبوب العاصفة

كان كوينتن ناثان يحلم أحلاما غريبة . مثل تلك
الأحلام المراقبة التي تداعب خيال الشباب . كان يعلم
أنه سائر مع ليدى ايزابيل على شاطئ بحيرة هادئة
يسطع ماؤها من ضوء شمس الصيف . مثل تلك البحيرة
التي تنساب مياهها بالقرب من بيته في اسكتلندا
البعيدة .

كان يبتها حبه وكانت تبشيم وهي تنصت اليه . ثم

تبدل كل شيء فجأة . لم يعد الوقت صيفا بل شتاء
هبّت الريح عاتية وقامت عاصفة على سطح البحيرة
التي علت أمواجها ومنعتهما من المرور . . ولم يعد
فى إمكانهما التقدم أو التقهقر . أحاطت بهما الأمواج
الهادرة من كل مكان وظلت تعلو وتعلو . . ثم استيقظ
من نومه .

استيقظ حقا لكن الحلم كان مستمرا . كان صوت
العاصفة لا يزال فى أذنيه . ثم أدرك أن هذا الصوت
حقيقى . لم يكن صوت الأمواج ولكنه صياح آلاف من
الرجال الثائرين . قفز خارجا من فراشه وأطل من
النافذة . كانت النافذة تطل على الحديقة وكان كل شيء
هادئا على هذا الجانب . كانت الأصوات تأتي من
الخارج . وكان هناك هجوما على القلعة ! أسرع بارتداء
ملابسه وبينما هو يفعل ، انفتح الباب وأسرع خيرادين
نحوه وهو يحمل مصباحا فى يده .

— أهل المدينة يهجمون على القلعة ومعهم ولیم
دولامارك . . اذا أردت انقاذ لیدی ایزابیل اتبعنى !

قال كوينتن في عجلة : تقدم وسوف اتبعك . ولكن
إذا حاولت خداعي سوف افصل بسيفي رأسك عن
جسدك في لحظة .

هبط خيرادين السلم بسرعة وعبرا غرضا كثيرة
حتى بلغا حديقة صغيرة . وعندما خرجا الى المكان
المفتوح صار الهتاف أعلى بكثير ، وكان باستطاعة
كوينتن ان يتبين صيحات القتال : « لويس ! فرنسا !
الملك لويس ! » « لا مارك ! الخنزير البري ! خنزير
الغابة ! » « بينما تعالت صيحات ضعيفة من الجانب
الأخر ، جانب المداقعين .

عبرا الحديقة ودخلا من باب صغير يفضى الى
حجرة السيدات . أعطى خيرادين اشارة فخرجت
امراأتان وضعت احدهما يدها في ذراع خيرادين
وكانت تخفى وجهها ، وسارت الثانية مع كوينتن .

قادهم خيرادين عبر ممر طويل يفضى الى باب
في الجدار ، هذا الباب يؤدي الى المجرى المائي المحيط
بالقلعة . وبينما كانوا يلقون هناك ظلت صيحات

الانتصار تتعالى واصبح من الواضح أنهم استولوا على
على القلعة .

عبروا المجرى المائى بسرعة ..

صاح خيرادين : انظروا ! الجياد تنتظرنا تحت هذه
الأشجار !

قال كوينتن : هناك حصانان فقط .

اجاب خيرادين : هذا كل ما استطعت الحصول
عليه . وهو كاف .. يجب أن تتجهوا أنتما الاثنان الى
« تونجر » قبلما يصبح الطريق خطرا .. وتستطيع
مارتون أن تظل معى فهى أختى » .

صاحت ليدى هاملين : مارتون ؟ أختك ! أليست
ليدى ايزابيل ؟

اجاب خيرادين : لا انها مارتون ، خادمتك . لم
أجرؤ على اختطاف السيدتين من خنزير الغابة البرى .

قال كوينتن : اذن فقد خدعتنى ! لكن لم يفت

الأوان بعد ! سوف أعود أدراجي . هل ليدي ايزابيل
لا زالت في القلعة ؟

أجاب خيرادين : نعم . ولكن أتصت الى . . اذا
عدت الى القلعة فسوف تلقى حتفك . انها في مأمن
هناك . ولیم دولامارك في حاجة الى زوجة ثرية .
لطمه كوينتن على وجهه .

قال خيرادين : اذهب اذن . اذهب وليصحبك
الشيطان !

الفصل السابع عشر

انتقاد ليدى ايزابيل

فوجيء الجنود داخل القلعة بهجوم اهل المدينة
مع لامارك وكان عددهم قليلا ، وبعضهم من الموالين
للأعداء . دافعوا عن القلعة وقتا قصيرا ثم استسلموا
للمعدو . واندفع كثيرون منهم من فوق أسوار القلعة
الى الماء خارجها . بينما اتجه عدد قليل من المخلصين
الى البرج فى وسط القلعة واستمروا فى الدفاع عن
الأسقف .

اندفع أهل لياج داخل القلعة ودار قتال وحشي في
فناء القلعة الكبير .

عندما عاد كوينتن الى القلعة رأى رجالا يسقطون
من أعلى الأسوار ، وآخرين يدفعهم أصل المدينة من
فوقها . لم يكن هناك وقت للبحث عن قارب يعبر به
المجرى المائي . قفز في الماء وراح يعوم بينما حاول
كثير من الغرقى التثبيت به ، ولكنه كان يدفعهم بعيدا
عنه .

أخيرا ، تشبث كوينتن بحافة الكوبرى ودفع بنفسه
خارج الماء . وما أن فعل ذلك حتى اندفع نحوه أحد
رجال لامارك شاهرا سيفه .

صاح كوينتن : توقف ! هل هذه طريقة تساعد بها
صديقا لك . . أعطى يدك واجذبني خارج الماء !

مد الجندي يده وجذب كوينتن فوق الكوبرى .
كان من الضروري التخلص من هذا الجندي الآن قبلما
يبدأ في طرح الأسئلة . . قال الاسكتلندي : اذهب الى



وبدأت الحرب بين الفريقين

البرج الغربي . . أسرع أن كنت تريد الشراء ، فكنز
الأسقف موجود هناك !

صاح الجندى : الى البرج الغربى ! وفى لحظات
قليلة كانت صيحته تدوى فى أرجاء القناه . . الى
البرج الغربى ! كنز الأسقف ! . .

عبر كوينتن الحديقة بخطى مسرعة وبقلب واجف .
وما أن بلغ الجانب الآخر حتى أسرع نحوه ثلاثة من
الرجال يحملون الرماح هاتفين : . لياح ! لياح ! ،
أجابهم كوينتن : . فرنسا ! فرنسا ! فرنسا صديقة
لياح ! ، .

صاح اهل المدينة وهم يعرون : يحيا ملك فرنسا !

ثم قابله أربعة أو خمسة من رجال لامارك فتعامل
معهم بنفس الطريقة . وأخيرا وجد الباب الجانبى
الصغير الذى جاءت منه مارتون وليدى هاملين . كانت
هناك ثلاثة أو أربعة جثث تعترض طريق الباب . أبعد
اثنين ، ولكن الثالثة أمسكت فجأة بذراعه . رفع

كوييتن سيمه لصاح الرجل : توقف ! اذا باغيون !
انقذنى !

قال كوييتن : هل انت مجروح ؟

قال باهيون : لا . لست جريحا . . ولكن هذه الدروع
ثقيلة جدا لدرجة انى غقت انفاسى ولم اعد استطيع
الهروب .

- اجلس هنا وسوف تتحسن حالتك عما قريب . .
سأعود بعد برهة وجيزة !

قال باهيون وهو لازال يصتك به : الى جانب من
تعارب ؟

اجاب كوييتن وهو يحاول التخلص منه :
الى جانب فرنسا ! الى جانب فرنسا !

قال باهيون : حسنا يا صديقى ، سوف أجمع بعضا
من رجالنا لمساعدتك . . اوه ، يالها من ليلة رهيبة !

صعد كوييتن الدرج مسرعا وتبعه باهيون هى

بطء • نادى على ليدى ايزابيل بصوت متخفض فى
البداية ثم بصوت عال ، وكلما تضائل الأمل
علا صوته •

وأخيرا ، نظر خلف إحدى الستائر فوجد بابا
صغيرا • اندفع يضرب الباب مرة وراء مرة حتى
انفتح ، فسقط داخل الغرفة • هناك ، رأى امرأة راكعة
على ركبتيها تصلى • عندما تقدم نحوها ألقت بنفسها
على وجهها طلبا للرحمة • أسرع برقعها عن الأرض
وكم كانت سعادته حين وجدها ليدى ايزابيل • ضمها
الى صدره وصاح : لا تخافى • سوف أقوم بحمايتك !

قالت : دوروارد • • هل أنت حقا هنا ؟ اذن فلا
زال هناك أمل • لقد ظننت ان كل أصدقائى تركونى
لأواجه مصيرى • لا تتركنى !

وأمسكت بيديه • وقال كويلتن :

لن أتركك أبدا • • أبدا ! مهما يحدث ومهما تكن
المخاطر • سوف أظل الى جوارك !

الفصل الثامن عشر

خطة الهروب

قال صوت غليظ خلف كوينتن : جميلة جدا . . .
جميلة جدا جدا ! . . . قصة حب صغيرة على ما أظن !
. . . انني أشفق حقا على السيدة الشابة كما لو كانت
ابنتي ثرودشن .

كان باغيون يقف هناك مبتسما لليدي ايزابيل وكوينتن .

قال كوينتن : يجب أن تفعل شيئا أكثر من مجرد

الشفقة ، يجب أن تساعدنا ، لقد وضع صديقك ، ملك
فرنسا ، هذه السيدة تحت رعايتي ، يجب أن تساعدني
لانتقاذها ، يجب أن نحميها من وليم دولاامارك
خصيصا .

قال بافيون : سيكون هذا صعبا ، لأن رجاله
شياطين في العثور على الكنوز والنساء ، ولكنى سأبذل
قصارى جهدي ، انتظر ، سوف أجمع بعضا من
أهالى المدينة الطيبين !

ذهب الى المافذة وصاح : لياج ! لياج !

هرع اليه رجل أو رجلان من رجاله وتبعهما آخرون
بعد قليل ووقفوا يحرسون الباب ،

كان القتال الآن قد أوشك على الانتهاء ، دق
ناقوس القلعة الكبير يدعو الجنود للتجمع ولكن بافيون
ظل في مكانه وأرسل أحدهم لأحضار صديقه بتركين
جسيرا ، بعد دقائق قليلة حضر بتركين ، كان رجلا
قصيرا سمينا ذا وجه مربع .

قال بافيون : بتركين يا صديقي ، انه يوم عظيم
في تاريخنا ، ارجو أن تكون راضيا .

قال بتركين : انا راض بما فيه الكفاية ولكن فيم
انتظارك هنا ؟ يجب أن تذهب الى حيث يجتمع الجنود .

قال بافيون : هل أنا مطلوب هناك ؟

قال بتركين : بالطبع . ان حقوق الشعب في خطر
اكثر مما مضى ، فهي في خطر الآن من وليم دولامارك
لقد أغلقت كل أبواب القلعة الآن وقام على حراستها
رجال لامارك . . ولا يمكننا نحن أهالي المدينة أن نخرج .

سأل بافيون : وماذا أغلق الأبواب ؟

أجاب صديقه : يقال ان هناك سيدتين من النبلاء
هنا في القلعة . ويقال ان رجال لامارك يبحثون عنهما .
لامارك نفسه يشرب الخمر مع جنوده في القاعة
الكبيرة .

قال بافيون : وماذا تفعل اذن ؟

قال بتروكين : انصت . اذهب الى لامارك واطلب
منه ان يرسلك أنت وخادمك وابنتك خارج القلعة .
لا يحق له ان يحتفظ بك هنا سجيناً ، قل له هذا ولا تظهر
له أنك خائف .

قال باقيون : أنا وابنتي وخادمي ؟

أجاب كويتن : نعم . أنا خادمك حقاً وهذه السيدة
سوف تناديك بأبي طالما نحن في هذا المكان .

صاحت ليدى ايزابيل وهي تلقى بنفسها عند اقدامه :

أوه . ساعدني وسوف أحبك وأصلي من أجلك مدى
الحياة . فكر ! لو أن ابنتك ركعت أمام رجل غريب
تسأله أن يمنحها الحياة والكرامة ! فكر في ذلك
ودافع عني كما كنت ستفعل من أجلها !

قال الرجل الكريم الذي اثرت فيه كلماتها :

هذا حق . أعتقد أن هذه السيدة في مثل جمال ابنتي
تروودشن ، وعندما يتعلق الأمر بالحب الحقيقي فأنني

أكون دائما راغبا في المساعدة . والآن ياسيدتى ضعى
هذا الثوب فوق رأسك وأخفى وجهك . تعالى معى !

قال كوينتن مخاطبا ليدى ايزابيل وهما يعبران
الفناء الذى تناثرت فيه جثث القتلى والجرحى :
تشجعتنى . فأنقذك يتوقف على شجاعتك .

قالت : ليس على شجاعتى ولكن على شجاعتك
أنت وأنت وحدك . لو أئنى نجوت من هذه الليلة الرهيبة
لن أنسى أبدا من كان السبب فى انقاذى . ولكن هناك
شيئا واحدا أرجوه منك .

قال كوينتن : وما هو ؟ ماذا تطالبين منى ولا أنفذه
لك ؟

قالت : اتوسل اليك أن تفعد سيفك فى قلبى أفضل
من أن تتركنى أسيرة بين يدي لامارك .

كان رد كوينتن الوحيد هو أن يضغط على يدها .
وبدا له أن أصابعها تحبب على رسالته .

الفصل التاسع عشر

موت الأسقف

بلغوا أخيرا أبواب المقاعة الكبيرة . .

قال بتركين : تشجع ياسيدي . تشجع بكل قلبك
والا ضعنا جميعا !

كانت الضوضاء والصياح وأصوات غناء متوحشة
تأتي من الداخل . اعترض أحد الجتود طريقهم فقال
بافيون : أنا بافيون أحد قادة رجال لياج !

بدا المجندى وكأنه يشك فى كلامه ثم سمع لهم
بالدخول .

قال لامارك وهو يضحك عالبا : . حسنا ياسيدى
اخيرا جئت وانت تصطحب امرأة جميلة . من هذه المرأة
الجميلة . . . دعنى أر وجهها .

اجاب يافيون : انها ابنتى ياسيدى !

قال لامارك : اجلس . ربما عندما تستريح يقل
خوف ابنتك وتسمع لى بان تستمتع عينائى بجمالها .
أحضر الأسقف .

ادخل بعض الجنود الأسقف الى القاعة كانت
ثيابه ممزقة وكانت الدماء تسيل من وجهه لتلطيخ
ذقنه البيضاء . .

وكانت الأحداث التى تلت ذلك أحداثا رهيبية .

قام لامارك وتظر الى اسيرد قائلا :

لقد سألتك ان تصحب صديقى وقد رفضت . وطلبت

منك أن تعاوتنني ولكنك لم تفعل . فماذا أنت فاعل
الآن لتهرب من الخطر المحدث بك ؟

قال الأسقف : انصت الي ! وانصتوا الي جميعا
أيها الرجال الشرفاء . لقد تسببتم في ثورة أهل هذه
المدينة ضد حاكمها . ولقد قتلتم شعبي واغتصبتم أموالي
وصرعنو جنودكم وسخروا مني . وخالفتم قانون
الإنسان وقانون الرب .

قال لإمارك في توحش : هل انتهيت ؟

أجاب الأسقف : لا . فانا لم أجبك على سؤالك .
لقد سألتني ماذا انا فاعل لكي أنجو من ساعة الخطر
هذه . وهانا أجيبك : ماذا أنت فاعل لكي تصلح الخطأ
الذي تسببت فيه ؟ الق بأسلحتك وأطلق سراك وعد
الأموال وأعط كل ماتملك للفقراء ثم اركع على ركبتيك
ووصل . . افعل هذا ربما تنجو روحك من نار جهنم
الحامية .

كان الأسقف يتحدث في كبرياء نكماك يتحدث الي

خادمه . وعندما كف عن الكلام ضربه أحد رجال
لامارك ففر الرجل العجوز صريعا على الأرض .

حب أهل المدينة صائحين في غضب على هذا العمل
الوحشي فصاح لامارك مقطعا على صياحهم : استمعوا
الى أيها الناس ، أيها الشعب المسكين . هل تجرؤون
على الوقوف ضد خنزير الغاية ؟ . انهضوا يا رجالى !
.. ولير هؤلاء الناس ماذا يستطيع أن يفعل رجال
الغابة !

استل جنود لامارك سيوفهم ووقفوا على أهبة
الاستعداد لضرب أهل المدينة .

كان الجميع يحملون السلاح ولكن أحدا لم
يستخدمه .

استل كويتتن أيضا سيفه وأمسك بكارل ابن لامارك
وصوب سيفه الى قلب الصبي صائحا : هل هذه لعبتك ؟
اننى فلألعبها أنا أيضا !

صاح لامارك : توقف ! توقف ! لم أكن أعنى ماقلت

•• هل تظن أنني أصيب أصدقائي بالأذى ، أهل هذه
المدينة ؟ أيها الجنود ، ضعوا سيوفكم جانباً • اجلس
وأبعد هذا الشيء •

وأشار بقدمه الى جثة الاسقف ••

دعونا نشرب • دعونا نقضى الليل في الاحتفال
والغناء !

ساد الصمت برهة من الوقت ثم تقدم كوينتن قائلاً :
أنصت الى ، وليم دولامارك ، وأنتم يا أهل لياج ! وأنت
أيها الفتى الصغير •

وكان كارل يحاول التخلص منه ••

لن يصيبك أى اذى إلا اذا حاول أبوك أن يهدعنا •

قال لامارك : من أنت ؟ وكيف تجرؤ على أن تفعل
ذلك ؟!

قال كوينتن في شجاعة : « أنا خادم الملك لـويس
ملك فرنسا •• أنا جندي من الحرس الاسكتلندي كما

ثرى من ملبسى . لقد بعثت الى هنا كى أقدم تقريراً عن
أفعالك لسيدى . . وأرى أن أفعالك ماهى الا أفعال رجل
مجنون . فلن يلبث جيش دوق بورجوندى أن يتحرك
ضدكم . . ولو أردت مساعدة فرنسا يجب أن تتصرف
بشكل مختلف . أما أنتم يا أهالى لياج فأنا أنصحكم
بالعودة فوراً الى مدينتكم وإذا حاول أحد أن يمنعكم
فسوف أخبر ملك فرنسا بذلك .

صاح أتباع باغيون : فرنسا ولياج ! فرنسا ولياج !
شعر أهل المدينة بشجاعة أكبر حين سمعوا حديث
كوينتن فراحوا يصيحون : فرنسا ولياج ! يحيا
الاسكتلندى الشجاع . . . نموت ونعيا مع الاسكتلندى !

نظر ولیم دولامارك حوله الى رجاله وكان الكثيرون
منهم فرنسيين ، وكلهم يعرفون أن قائدهم يتلقى المعونة
من الرجال والأموال من ملك فرنسا . وقد رأى أن
مقتل الأسقف قد أخافهم وكان يعرف أنه لا يستطيع
التأكد من طاعتهم لأوامره . فابتسم ابتسامة صفراء
وقال :

- أن رجال مدينة لياج أصدقائي وهم أحرار بالطبع في مغادرة القلعة إن أرادوا ذلك ، لكنني أرجو أن يشرفني الاسكتلندي النبيل في هذه المأدبة وأن يظل هنا حتى المساء !

شكر كوينتن لامارك وقال انه يجب أن يرحل مع بافيون ، وأن ملك فرنسا أمره أن يرافقه بشكل خاص ، وقال بافيون : إن كان يجب أن تبقى معي ، عليك أن تغادر القلعة الآن .

ثم استدأر مخاطباً رجاله : ابتعدوا قريباً عن أيها الرجال وسوف تغادر هذا المكان بأسرع ما يكون !

عندما بلغوا قناء القلعة سأل كوينتن ليدى ايزابيل عن حالتها فأجابت : حسن ، حسن ولكن لا تتوقف لتدأرج الأسئلة - - دعنا نرحل عن هذا المكان بسرعة !

كانت تحاول الإسراع في السير أثناء الحديث ولكنها كادت تسقط لولا أن حملها كوينتن ، فقد حملها بين ذراعيه كامه ووضعت يدها حول عنقه وهو يحملها

بفع بتركين صديقه بافيون الى الامام وراحوا يسكرون
ويركضون حتى بلغوا شاطئ النهر . أخيرا وجدوا
قاربا هبطوا فيه وطلت ليدى ايزابيل بلا حول ولا قوة بين
ذراعى حاميهها .

وفى النهاية ، توقف القارب عند أطراف حديقة
بافيون . خرجوا جميعا منه وصاح بافيون مناديا
قرودشن . حمل كوينتن ليدى ايزابيل داخل البيت
واوصى بها زوجة بافيون . . . كانت امرأة صغيرة
وسمينه وكانت تبدو عليها آثار جمال مضى . كان أنفها
الآن هادا احمر اللون وصوتها عاليا ومزعجا .

وانذا كان اهل لياج قد اطاعوا بافيون ، فلم يحن
هناك أدنى شك فى أن بافيون يطعم زوجته .

الفصل العشرون

نهاية حلم

ظل كوينتن نائما حتى وقت متأخر من اليوم
التالي . وعندما استيقظ من نومه وجد باقيون جالسا
الى جوار فراشه .

قال كوينتن : ارجو الا يكون مجيئنا قد تسبب
في اى ازعاج لزوجتك .

اجاب باقيون : ازعاج ؟ لا . لا . . . روحنى
لا يزعجها قط الزائرون فهى قد تعودت عليهم .

- لو كنت واثقا أن ليدى ايزابيل مستعدة للسفر
لما تسببت لها في مشاكل أكثر ببقائنا هنا فترة أطول .
قال بافيون : اه ، هذا بالضبط ما قالتها السيدة
الشابة لزوجتي .

قال كويتن وهو يكمل ارتداء ملابسه : هل غادرت
ليدى ايزابيل غرفتها ؟

- نعم ، وهى تنتظرك ، انها متلهفة على الرحيل .

قال كويتن : ولماذا لم تقل لى هذا مبكرا ؟

قال بافيون : هناك شيء آخر أريد أن أخبرك به .
ابنتى ترودشن تظن أنه ليس من الأمكان لك ولليدى
ايزابيل أن تسافرا بعلايسكما الحالية ، يجب ألا يتعرف
عليكما أحد ، أن جنود لامارك يتحدثون عن سيدة
تسافر بصحبة أحد أفراد الحرس الملكى الاسكتلندى ،
يجب أن ترتدى ملابس عامة الشعب فى هذا البلد ،
سوف أحضر لك الملابس الضرورية !

عندما هبط كوينتن وجد ليدى ايزابيل ترتدى ملابس فتاة من لياج . وكانت ترودشن مشغولة باستكمال ملابس السيدة وبتعليمها كيف تتصرف وكيف تتحدث .

لقد اخبرت صديقا لى يدعى هانز كلوفر أن ينتظركما عند البوابة الشرقية للمدينة وأن يقودكما فى امان خارج البلدة .

قبلت ليدى ايزابيل ترودشن لتشكرها على كرمها .

كان جوادان قويان ينتظران امام الباب وراح بافيون وزوجته ينتظران الى كوينتن والسيدة وهما يركبان الجوادين . سار امامها بتركين ليدلها على الطريق الذى يسلكانه ، حتى وصلا الى البوابة الشرقية مارين بين حشود من الناس مشغولين بالحديث عما جرى من أحداث بالأمس حتى ان أحدا لم يلحظ مرورهما .

عندما بلغا البوابة ، لحق بهما شاب قصير القامة

قوى البيديان على حصان رمادي قوى ، كان هانز جلوسر
صديق ترودشن . ألقى عليهما بالتحية وسأل ليدى
ايزابيل عن الطريق الذى ترغب فى أن تسلكه .

قالت : قدنا الى اقرب بلدة فى برايان !

قال كوينتن بالفرنسية : لقد عقدت العزم ان
على المكان الذى تنوين الذهاب اليه !

اجابت السيدة : لا يهمنى أين أذهب ، لأدعى فى
نهاية الرحلة لن أجد شيئاً غير السجن .

قال كوينتن : السجن !

— نعم يا صديقى ، السجن . ولكنى سوف أعمل
على ألا تكون سجيناً مثلى !

قال كوينتن : لا تفكرى فى ، فأمرى لا يهم ، كل أملى
ورجائى هو أن تكونى فى مأمن !

قالت ليدى ايزابيل : لا تتكلم بصوت عال . يجب
ألا يسمعنا الناس نتحدث بالفرنسية .

كان جلوفر يتقدمها على حصانه .

أكملت ليدى ايزابيل : لقد قررت أن أضاع نفسي
بين يدى دوق بورجوندى وأثق فى رحمته . أن واحبى
أن أخبرك بذلك لأنك مسئول عن حمايتى ، أنت الذى
أدين له بحياتى .

— وهل تسمحين للدوق بتزويجك من صديقه
الكونت كاميو — بأسو ؟ على ما أعتقد أنه يشوى
ذلك .

كان كويتن يتحدث بصوت حاد جاهد أن يجعله
هادئاً .

أجابت ليدى ايزابيل : لا يا دوروارد ، لا . قد
يستولى دوق بورجوندى على أرضى وقد يلقى بى
فى السجن ولكنى لن أتزوج كاميو — بأسو . فقد يكون
هذا أنقطع ما يحدث لى .

قال كويتن : لا ! ماذا يكون أسوأ من فقدان كل
شيء والسجن ؟ إن الهواء الطلق يحيط بك الآن ، وهناك

رجل الى جوارك مستعد للتضحية بحياته لكي تصلى
فى امان الى انجلترا او ألمانيا او اسكتلندا . . فى أى
من هذه البلاد سوف تجد من يحموك ويكرموك .
لماذا انى قررت أن يلقى بك دوق بورجوندى فى السجن ؟
ان أعظم وأفضل شيء فى الوجود هو الحرية .

استمعت السيدة اليه فى حزن ثم قالت : الرجل فقط
يستطيع أن يكون حرا . . اما المرأة فيجب عليها دائما
أن تبحث عن يحميها . . فهى غير قادرة على الدفاع
عن نفسها . وأين أحد من يحمينى ؟ ليس الملك ادوارد
ملك انجلترا ولا هنسلاس ملك ألمانيا . وفى اسكتلندا ،
من ؟ آه ، يا دوروارد ، لو أنى كنت أختك لعشت فى
سعادة بين الجبال التى تصفها فى حب . هناك يمكننى
ان أحيا بلا مشاكل وأن أنسى القدر الحزين الذى ولدت
به .

ظلا يسيران فى صمت . . صمت المحبين الذين
لا يحتاجون لكلمات لأن كل قلب يعرف ما يقوله القلب
الآخر .

كان الوقت قد تجاوز العصر بساعتين عندما صاح
جلوفر فجأة : مشيرا خلفهما الى كتيبة هائلة من جنود
لامارك يتبعهم . أسرعوا الى الأمام دون أمل كبير في
النجاة .

قال كوينتن : عزيزتي ايزابيل ، لن يفيدني ان
أحارب من أجلك هذا العدد الكبير ، دعينا نذهب الى
تلك الغابة هناك ربما وجدنا مكانا نختبيء فيه أو طريقا
نهرب منه .

قالت ايزابيل : اذهب يا صديقي الوحيد .

ثم أضافت وهي تلتفت الى جلوفر : وأنت ، اتركنا
هذا ولا تبق معنا لتتحمل مصيرنا .

قال الفتى الشريف وهو يتبعهما : لا ، لا . . !

تحركوا صوب الغابة بأسرع ما يمكن ان تحملهم
جيادهم المتعبة . راهم الجنود يستديرون ويتبعوهم .
عندما وصلوا الى الغابة رأوا على بعد نحو ربع ميل
خلفهم كتيبة أخرى كبيرة من الجنود .

**قالت ايزابيل : ان معداتهم لامعة ، انهم جنود
دوق بورجوندى ، وليسوا رجال لاملارك .**

**اقتربت منهم الكتيبة ، وبعد برهة صاحت ليدى
ايزابيل : انتى ارى اعلامهم . انها راية كونت كرافكور ،
أحد بيلاء بلاط بورجوندى . سوف أسلم نفسى اليه ،
خيمت سحابة من اليأس والحزن على قلب
كوينتن .**

**تقدمت الكتيبة وقادت ليدى ايزابيل جوادهما
للتحدث مع كرافكور . عندما رأى رجال لاملارك ان قوات
كرافكور تفوقهم عددا ، استداروا مبتعدين بسرعة .**

**تقدم الكونت على حصانه وسارت السيدة الى
جواره بينما تبعهما كوينتن .
كانت مهمته قد انتهت .**

**كان كوينتن مجرد جندى عادى من حرس الملك
الاسكتلندى لا يليق به السير الى جوار رجل نبيل وسيدة
من الطبقة العليا .**



رکبت ایدي ایزابیل مصانها واتجهت الیه

الفصل الحادى والعشرون

البرج الأسود

تقع قلعة ، بيرون ، بالقرب من نهر عميق . وبينما كان الكونت كرافكور وصحبته يسировون بالقرب من النهر . التقى الكونت برجلين كانا يقومان بالصيد فى الغابة . وعندما رآه الرجلان تنحيا جانباً وصاحا :

— اخبار ، اخبار كونت كرافكور . هل تأتى
بالأخبار ام تستمع الى الأخبار ؟

**قال كرافكور : الاثنان . ولكنى لا أظن أن أخبار كما
فى مثل أهمية أخبارى .**

**أجاب كومين محدثاً رفيقه : حسناً ، إن أخبارنا
عظيمة حقاً . . . انصت ! الملك لويس فى بيرون !**

**صاح الكونت : ماذا ! هل استسلم دوق بورجوندى
دون حرب ؟**

**أجاب كومين : لا . لا توجد حرب . الدوق لازال
هنا والملك هذا أيضاً ، لقد جاء الملك لزيارة الدوق
ليتهياً خلافتيهما وقد أحضر معه حرسه الإسكتلندى
فقط وبعض ضباط منزله ، دبرتوا ، أورليان ، كراوفورد
وأخرين . والآن وقد عرفت أخبارك ، هات ما عندك أيها
الذئبل كرافكور !**

**أجاب : ما عندى أخبار سيئة . لقد قتل أسقف
لياج واسقولى وليم بولامارك على القلعة . سوف
أذهب لإبلاغ الدوق فى القو .**

كان ملك فرنسا يعشق الصيد وكان فى هذا اليوم

يقوم بالصيد في الغابة بالقرب من بيرون ، عاد الى
القلعة وجلس الى مائدة العشاء في القاعة الكبيرة ،
كان هناك مقعدان خاليان عند المائدة وقد لاحظتهما
دوق بورجوندى حين نظر حوله .

التفت حوله وسأل : لمن هذه المقاعد الخالية ؟

اجاب الرجل : هذا مقعد كومين !

قال الدوق : انه صياد شره ، هذا اذا تأخر عن
تناول طعامه .

وبينما هو يقول ذلك دخل كومين القاعة .

قال دوق بورجوندى : حسنا ياسيدى ، لا بد وانك
توغلت بعيدا في الصيد ولذلك عدت متأخرا . ويبدو
من وجهك الحزين انك لم تلق نجاحا في الصيد !

دارت كل العيون تجاه كومين ، وقال دوق
بورجوندى غاضبا : ماذا يعنى صمتك هذا ياسيدى ؟

قال كومين : بينما انا في طريق العودة من الغابة
قابلت كونت كرافكور .

قال الدوق : ما ! هل عاد من برابان ؟ لا شك أن الأمور مستتبة هناك !

أجاب كومين : سيخبرك كرافكور بالأخبار بنفسه .
لقد ذهب ليغير ملابسَه .

صاح الدوق : وماذا يعتنى أنا من ملابسَه ؟ ..
لماذا لا يأتى ليخبرنا بما يجب أن يقوله لنا ؟

أجاب كومين : انه يظن أن من الحكمة أن يخبرك بذلك بنفسه .

- اذهب وأمره أن يأتى الى هنا فى الحال ! ..
ليست لدى أسرار هنا !

ظل الدوق ينظر فى غضب صوب الباب وجلس الحاضرون فى صمت ينتظرون . استمر الملك ليريس وحده فى تناول الطعام فى هدوء وفى الحديث الى النبلاء بجانبه . وأخيرا دخل كرافكور .

قال : سيدى ، ان الاخبار التى جئت بها لا تلائم قاعة الاحتفالات !

- خبرني يا رجل ، ولكنني أستطيع تخمين هذه
الأبناء . ان اهل لياج يسبون لنا المتاعب ثانية ، لماذا
لم تذهب لنجدة الأسقف ؟

اجاب كرافكور : قات الاوان . لقد انضم وليم
دولامارك الى اهالي لياج واستولى على القلعة وقتل
الأسقف في قاعته .

ردد الدوق بصوت عميق : قتله ؟ هل أنت
متأكد من هذه القصة ؟

- أنا متأكد . لقد كان أحد أفراد الحرس الملكي
الاسكتلندي في القاعة حين قتل الأسقف وقد أخبرني
بذلك .

صاح الدوق : ها ! جندي من حرس الملك
الاسكتلندي !

واستدار ناحية لويس قائلا : لقد فهمت ! انه انت
الذي تسبب في هذه الثورة . وانت في قبضة يدي .

وضع الدوق يده على سيفه فهب الجميع من
مقاعدهم . أغلق خدم الدوق أبواب القاعة الكبيرة
وهرع عدد من اللوردات الفرنسيين الى جانب الملك
استعدادا للدفاع عنه . جلس الملك لويس هادئا ولم
يقل كلمة واحدة . ظل دوق بورجوندى واقفا ويده على
سيفه وانتظر رجاله إشارة بدء القتال الذى كان يجب
أن ينتهى بمقتل ملك فرنسا وكل أتباعه .

أسرع كرافكور صائحا : سيدى ، فكر فيما أنت
فاعل ! انها قاعتك . ألسنت مخلصا للملك ؟ هل تقتله
فى قلعته ؟ لا تفعل ذلك حفاظا على شرف بيتك !

قال لويس فى هدوء : انه على حق . .

ثم أضاف وهو يلتفت الى أتباعه : أيها السادة ، ان
صديقى دوق بورجوندى غاضب لما سمعه من أخبار
عن مقتل اسقف لياج . . أعيذوا سيوفكم الى أماكنها .
إذا أراد قتلى قلن يجدى قتالكم أمام هذا العدد الغفير .

ظل الدوق واقفا ويده على سيفه ثم التفت الى

كرا فكور قاتلا : كرا فكتور لقد أحسنت القول . لقد
جاء الملك لزيارة القلعة كصديق وأنا أخلص له كحاكم
لفرنسا . ليس من شيمتي أن أحكم في تهرع وغضب .
لو كان علي أن أفعل شيئا فيجب أن أفعل ذلك بعد
الحكم على الأمور وسوف تعرف كل شعوب أوروبا أنني
تصرفت بشكل عادل . سوف نسمع المزيد عما حدث
فليؤخذ الملك إلى : البرج الأسود » وليظل حبيبا هناك
حتى يتاح لنا الوقت لنسمع المزيد ونقرر إذا ما كان
سببا في موت صديقنا .

الفصل الثاني والعشرون

يجب ألا تظهر الحقيقة !

حدث هذا في المساء السابق على الاجتماع المهم الذي ناقش فيه دوق بورجوندي وأتباعه الحقائق المرتبطة بقتل أسقف لياج ليقرروا أن كان الملك لويس قد أخطأ ، وأو عرعت الحقيقة لنسبت الحرب بلا شك ، ولقتل الدوق الملك لويس في قلعة « بيرون » ولانداعث الحرب من أقصى البلاد لأقصاها .

يجب ألا تظهر الحقيقة !

رقد كوينتن على فراشه في قلعة بيدرون وراح يقلب
هذه الأفكار في رأسه ، يجب ألا تظهر الحقيقة ، وكان
هناك اثنان فقط يعرفانها ، هو وليدى ايزابيل ، أما
عن نفسه فهو يستطيع الوثوق في حكمته الاسكتلندية
الاصيلة ؛ فقد قرر ماذا يقول وماذا يخفى ، المخطر
يكن في ليدى ايزابيل ، ان سلام فرنسا يتوقف على
اجاباتها كما تتوقف عليها حياة الملك وحياتها هي
وسعادتها .

وهو الأمر الذي كان يفرق في أهميته كل شيء
بالنسبة لكوينتن .

عندما بلغوا القلعة ، اصطحب كونت كرافكور ليدى
ايزابيل الى بيته وأوكل مسئوليتها الى زوجته . وذهب
كوينتن لاحاق رفاته في الحرس الاسكتلندي ، الآن
عليه أن يرى ليدى ايزابيل سرا ولكن كيف يستطيع
جسدي عن الحرس الاسكتلندي أن يلتقي بمسيدة من الطبقة
الاولى ، ففطن في بيت أحد أكبر لمردات سلاطه دوق
بروجوفاي ؟

قام كوينتن من مرقده فقد حزم أمره أخيرا . . عبر
الغناء مسرعا نحو غرفة لورد كراوفورد . كان الوقت
مساء . . سار ظله الداريل أمامه بينما اتفقت عيونه
المعاصفة السماء الغربية . وقد اكتست بفعل الشمس
المغيب بألوان الدماء والذهب وابتد كذلك خلفه سطح
القلعة .

بلغ الباب المضيق . . واثابه صوت لورد كراوفورد
أخيرا داعيا إياه لدخول .

حياه لورد كراوفورد في إطف شديد كما يحيى الأب
ابنه . وقال في اعتزائي : أنك شاب غريب !

لقد حصلت على مكانك في فرقتي اسرع من أي
شخص آخر . . إن المستقبل العظيم في انتظارك !

قال كوينتن : أخشى أنني لن أستطيع التمتع بهذا
المكان طويلا . لقد قررت ترك الحرس الملكي !

صاح لورد كراوفورد غاضبا : تترك الحرس
تترك الحرس الاسكتلندي الملكي ! . . لا تعلم بذلك .

اننى لا أتنازل عن موقعى كقائد للحرس الا اذا عرضوا
على أن أكون ملك فرنسا ، ألم تكن معاملتك طيبة ؟

لم يجب كوينتن لبرمة ثم رفع رأسه قائلاً : لقد
وعدت أن أكون مخلصاً للملك وهذا ما يجعلنى ألزم
الصمت لقد وعدت أن أخدم الملك ضد أعدائه ، ولست
أحاف أعداء الملك لكنى لا أرغب فى الاستمرار فى خدمته
وانا لا أستطيع أن أثق بسيدى .

قال كراوفورد : أينما الفتى الشاب ، لقد بدأت أظن
ماذا تعنى . لقد سافرت فى طريق ما بناء على أوامر
الملك ، وواجهت المخاطر فى رحلاتك هذه وتظن أن لديك
من الأسباب ما يدعوك الى الاعتقاد فى أن الملك هو
سبب هذه المخاطر .

— اما أن يكون الملك سببها أو لا يكون — لست
أدرى . . . لقد نجوت من هذه المخاطر فقط بعمون الله .
وقد سمعت حقا بعض الأقاويل ولكنى لا أثق فى قائلاً ،

قال لورد كراوفورد : وأنا أيضا سمعت بعض
الأقاويل وانت تعرف بعضها أفضل منى . لكن على

أن أخبرك أيها الشاب أن كلمة منك تقولها بلا حذر أو بلا
حكمة تعرض الملك لخطر داهم . هل هذا هو سبب
رغبتك في تركنا . . حتى لا تضطر للكلام ؟

كرر لورد كراوفورد : هل هذا هو السبب ؟

أجاب كوينتن : لا ، لو صح هذا لما أفادني الرحيل
الآن فعندئذ سرف يظنون انى خفت من قول الحقيقة ،
ولكن هناك شخصا آخر غيرى تتوقف عليه سلامة الملك ،
وهي لم تعد بالولاء له .

صاح كراوفورد : هي ا لو عرفت امرأة بالسر
لضعنا ا

أجاب كوينتن : لا تفكر هكذا ياسيدى . لن نضيع
لو أنك نجحت في أن تفعل ما أطلبه منك . هل يمكنك أن
تزور كونت كرافكور وتسأله أن يسمح لى بالحديث مع
ليدى ايزابيل ؟ أن استطعت التحدث اليها لطلبت منها
أن تحفظ السر !

لم يجب لورد كراوفورد فترة من الزمن . نظر

خارج المنافذة ثم أطرق ناظرا للأرض وهو رأسه ثم
قال في النهاية : هناك شيء ما في كل هذا لا أفهمه .
ان ليدي ايزابيل سيدة من الطبقة العليا . . وأنت شاب
اسكتلندي صغير المسن ! . . هل أنت متأكد أنك تستطيع
إقناعها بأن تفعل ماتريده منها ؟ . . تبدو واثقا من
قدرتك يا صديقي الشاب . ربما استغدت من وقتك جيدا
أثناء الرحلة . . ولكن بحق السماء ' سوف أفعل ذلك .
سوف أطلب ذلك من كرافكور . وهو يرتعب بشدة في
احلال السلام وأعتقد أنه سوف يسمح بذلك .

قال ذلك ثم قام وترك الغرفة .

بعد بضع دقائق عاد وكان ضاحكا .

قال : حسنا ايها الفتى الصغير، أنك جسر ولا شك !
لقد غضب كرافكور بشدة ولكنه سمح لك بذلك في
النهاية . ولكن يجب أن تكون زيارتك قصيرة . يجب
أن تفعل أقصى ما عندك في وقت قصير . أعتقد أنك
تعرف كيف تفعل ذلك . . ها ! ها ! ها !

لا يوجد شاب واحد فى العالم يحب سماع أحد
يسخر من حبه . علا وجه كوينتن الاحمرار وهو يتبع
الرجل المعجوز خارج الغرفة حتى بلغا بيت كرافكور .

قال كرافكور : حسنا أيها الشاب باستطاعتك أن
ترى رفيقة رحلتك الجميلة مرة أخيرة .

أجاب كوينتن فى حزم : نعم ياسيدى ، يجب أن
أراها بمفردى .

قال كرافكور : لن يحدث هذا أبدا . احكم بيننا
يالورد كرافكورد . هذه المرأة الشابة ابنة صديقى
القديم . وهى واحدة من أغنى نساء يورجوندى . وهذا
الشاب الأحق وقع فى حبها وهى أيضا . . ماذا كنت
أقول . . حسنا هى أيضا حمقاء . يجب ألا يلتقيا
بمفردهما !

كرركوينتن : لمن أتفوه بكلمة واحدة لليدى ايزابيل
إلا اذا بقينا بمفردنا .

**قال كرافورد : وما الضرر في أن نترك الشابين
معاً لمدة دقيقتين ؟ إن حياة الملك متوقفة على ذلك ويجب
علينا ألا نكون شديدي الحرص بسبب قصة حب
حمقاء . . دعه يفعل ما يريد !**

قال ذلك ودفع كرافورد بعيداً .

:: سحر الليل :: ليلاس ::

www.liilas.com/vb3

الفصل الثالث والعشرون

كويئتن يتحدث الى ايزابيل

بعد بضع دقائق ، دخلت ليدى ايزابيل من الجانب الآخر للغرفة وما أن شاهدت كويئتن يقف هناك وحيدا حتى توقفت في مكانها ثم تقدمت نحوه ثانية .

أقلت : لماذا يتحدث على أن أعاملك ببرود ؟ هل لأن آخرين لهم السنة حارة ، أنت صديقي والمدافع عني ، الصديق الوحيد الذى أثق به !

ومدت يدها اليه فراح يغطيها بالقبلات .

قالت : لو قدر لنا أن نلتقى ثانية لن أسمح بذلك .

وسحبت يدها قائلة : تريد أن تطلب مني شيئاً ،
أستطيع تذهيذه !

قال كوينتن في أسى : لا تخافى ياسيدتى النبيلة .

لن أطلب شيئاً لا تستطيعين منحه . . . ولن أنسى المسافة
التي وضعها القدر بيننا . . . لقد حلمت حلماً جميلاً . .
سوف أحافظ عليه طيلة حياتى . . سأحافظ عليه فى قلبى
فقط ، فمن ذا الذى يعرف الحلم إلا الشخص الذى دام
به .

قالت ليدى ايزابيل : لا تحدثنى فى ذلك . قل لى

ماذا تريد أن تطلب منى ؟ .

— أطلب منك النسيان . لا تنظري خلفك للماضى

ولكن انظري أمامك للمستقبل . ان من يسسرون فى

طريق محفوف بالمخاطر يجرؤون على النظر للخلف .

أنصتى الى . ان الملك لويس يستحق كرهك ولك الحق فى

أن تخبرى العالم كله كيف حدعك وكيف خذلك . يمكنك

أن تقولى كيف ساعدك على الهرب من بورجوندى ،

وكيف أبعدك عن قلعتك وكيف وضع خطة للقاء بك بين
يدى دولامارك . ولكن اذا قلت هذا كله ستكونين السبب
فى نشوب حرب دموية بين فرنسا وبورجوندى لم
يسبق لها مثيل !

قالت السيدة : أنا لا أرغب فى جلب الشر على هذا
البلد . أستطيع أن أنسى الضرر الذى ألحقه بى الملك .
ولكن ماذا أفعل ؟ سوف يستدعينى دوق بورجوندى
وسوف يلقي على الأسئلة . هل أظل هناك صامتة ؟ .
أم تطلب منى أن أكذب ؟ إن احتاج الأمر للكذب ، فلن
أستطيع اختيارهم . فليست لى خبرة بالكذب .

قال كوينتن : أنا لا أطلب منك أن تكذبنى ولكن أن
تقرلى ما نعتقدين أنت فقط انه حقيقة . لا تكبرى
الأقاويل التى أخبرك بها الآخرون حتى وإن كنت
تحسدها . قرلى ما تعرفينه فقط ، وإذا سئلت فى أى
شئ آخر سوف تجيبين . لا أعرف ، لا أعرف شيئاً من
ذلك .

قالت ليدى ايزابيل : أعتقد أنى هههههه .

بق الجرس ، فقالت ليدى ايزابيل : هذه اشارة
لنا ان نفترق . . نفترق الى الأبد ! ولكن لا تنسنى
يادوروارد . لن أنساك أبدا ، ولن أنسى خدمتك
المخلصة . . !

لم تستطع أن تقول المزيد وسحبت يدها التى كان
يضغطها مرة ثانية على شفطيه وبينما كانت تحاول
سحبها بعيدا اقتربت منه .

فى تلك اللحظة دخل كرافكور وكراوفورد الحجرة .

صاح كرافكور فى ايزابيل : اذهبى الى غرفتك
أيتها الفتاة الشابة ، وأنت ياسيدى كيف تجرؤ ؟ !

قال لورد كراوفورد : سلاما ، سلاما ! أنت ياكوينتن
أمرى بالمتزام الصمت وارهل فى الحال !

غادر كوينتن الغرفة . وعندما رحل اكمل لورد
كراوفورد قائلا : يجب أن أقول لك الآن وقد رحل الشاب
ان كوينتن دوروارد جنتلمان مثله مثل الملك . . انه
من عائلة نبيلة مثلى تماما . قيم تمضيك انى ؟

صاح كرافكور : ما ! هؤلاء الجنود الاسكتلنديون
يتسببون فى المشاكل دائما ، يجب أن يلزموا حدودهم .

اجاب كراففورد : سيدى اللورد ، لقد كنت قائدا
لحرس الملك الاسكتلندى على مدى خمسين عاما دون
أن أسألك المعون وسوف أظل على هذا الحال .

قال كرافكور : حسنا حسنا سيدى اللورد ، لم
أقصد أن أغضبك . أما عن هذين الشابين فأننا على
استعداد لنسيان الماضى لأنى أنوى ألا أجعلهما يلتقيان
ثانية أبدا .

قال لورد كراففورد ضاحكا : يمكنك أن تجعل ذلك
أكيدا ولكنك لن تكون قط متاكدا . لقد منحته هذه القبلة
فى عذوبة وأظن أننا سنسمع أخبارا جديدة فى المستقبل .

الفصل الرابع والعشرون

الدوق يتكلم

بق ناقوس القلعة الكبير . تقدم دوق بورخوندى
تبعه كوكبة من الرجال المسلحين تهرى الفناء ودخل
البرج الاسود .

كان الملك لويس يتوقع الزيارة . قام واقفا وتقدم
من الدوق خطونين ثم ظل واقفا فى هدوء .

قال الدوق : لقد جئت لأرحوك حضور الاجتماع

المقام في القساعة الكبيرة حيث يجب أن نقرر بعض الأمور المهمة جدا لملكك وللبلد التي أحكمها .

قال الملك : صديقي ، لا داعي لأن نكون مهذبا الى هذا الحد . لا يجب أن ترجوني وأنت تملك القسوة لقاسرني ، سوف أحضر بالطبع الى القساعة الكبيرة طالما لك هي أوامرك !

استندار الدوق وهبط السلم وتبعه الملك . بينما سار الرجال المسلحون أمامهما وفي الخلف . عبروا جميعا الفناء ودخلوا القاعة الكبيرة . كان هناك مقعدان مجهزان في نهاية القاعة . . أحدهما أعلى من الآخر . قاد الدوق الملك لويس ليجلسه على المقعد العالي وجلس هو على المقعد المنخفض . جلس نحو عشرين من كبار النبلاء على الجانبين بترتيب الألقاب .

عندما جلس الملك والدوق ، جلس النبلاء أيضا .

ثم قام الدوق وانحى انحناءة خفيفة للملك وشرع في الكلام ،

— « سادتي ، تسرعون جيدا أن اضطرابات كثيرة
حدثت مؤخرا في البلاد ، وكان سببها انعدام الاخلاص
وعدم الطاعة : فالشعب لا يطيع سادته والسيادة لا
يطعون حكامهم . وقد رأينا ذلك مؤخرا في قضية ليدي
ايزابيل أوف كروا وليدي هاملين اللتين لم يتديا طاهتهما
لنا وهربا من هذا البلد . وكانتا بذلك غير مخلصتين
لنا ، ويحق لنا ان نطلبهما كل ارضيهما . كما رأينا
الثورة الرهيبة التي قامت في ليماج ضد صديقنا العزيز
الاستف والتي انتهت بمقتله . كان السبب في هذه
الأحداث المؤسفة هو حق هاتين السيدتين من ناحية
وخيانة أهل المدينة من ناحية أخرى . ولكن سببها أيضا
في اعتقادنا هو مساندته جارنا الجليل الذي ظنناه
صديقا لنا . فان ثبت صحة ذلك شمسنا بضرورة
التصرف بشكل عادل لوقف هذا العدو من التهادي في
الحاق الأذى بنا . سوف نحارب الخيانة من جذورها ،
وحذور هذه الخيانة في اعتقادنا توجد في المكان الذي
نظنه آخر مكان يمكن ان تتحقق فيه الخيانة . في ذلك
الذي ندين له جميعا بالولاء ! » .

عندما بدأ الدوق حديثه كان هادئا وكان صوته منخفضا ولكن صوته صار وحيثيا غاصبا كلما اقترب من النهاية . وبدت كما لو كانت هناك لحظة خوف على وجه الملك ولكنها اختفت فى لحظة . وتحدث الملك الى الجمع بصوت أكثر انخفاضا وهذوا من صوت الدوق .

قال : نبلاء فرنسا وبورجواذى ، من السجيب ان يدعى الملك للدماغ عن نفسه بهذه الطريقة . ليس هناك داع لكى لا اتحدث بوضوح ، رغم ان الدوق لم يفعل ذلك . . كان من الواضح لكم جميعا انه يتحدث عنى . وأنا اسألكم هل كنت أحضر الى هنا وأضع نفسى تحت سلطة الدوق لو كنت اظنه عدوا لى . انتى خزين مثله تماما للاحداث المؤسفة التى حدثت فى لباج . ولكنى فشلت فى ان افهم لماذا الام انا على ذلك . لقد جاءت سيدتان تقسمان بالحق الى بلاطى وهما حزيتان بسبب قصة حب او زواج ، فهل ملوموننى على ذلك ؟ ماذا كنت أفعل معهما ؟ كرجل نبيل ، لم يكن فى استطاعتى ان اعيدهما اسيرتين الى المكان الذى جاءتا منه . لقد

فعلت ما رأيته أفضل لهما في هذه المسألة المعقدة ،
ولازلت أعتقد انى تصرفت بحكمة . لقد أرسلتهما الى
أستيف لياج ، صديق دوق بورجوندى وصديق عائلتى
أيضا . ولا ارى فى ذلك ما يعضب الدوق من حق .

قاطعه الدوق قائلا : سيدى ، لقد جئت هنا ووضعت
نفسك تحت تصرفى لأنك توقعات أن تحدث الأمور بشكل
مختلف تماما . فما كنت لنأنى الى هنا بلا شك لو
كنت تعرف أن خططك قد فشلت . ولكن ليس من حقى
أن أقدر . فلتسدد ليدى ايزابيل اوقافك كروا . سوف
نسمع منها شيئا حقيقيا الامر . اسندع ليدى
ايزابيل !

الفصل الخامس والعشرون

استدع ليدى ايزابيل !

حضرت ايزابيل تصطحبها ليدى كرافكور ، زوجه
كوب كرافكور. حتما رآها الدوق التمت عيناه
عجباً !

— حتما ، استدعى الحريزة ، ماذا تفعل في الامور
الطبيب الذي قمت به ، والمقاعب التي تذهب سببها من
أمير عظيم لا .. هل تريد ان ، الدب عظيم قد
يخونك ان الحرب قريباً سبب وجهك الطويل !

توقفت ايزابيل وقد أحاطها هجوم الدوق العنيف .
لكن ليدى كرانكور كانت امرأة شجاعة لا تخاف أحدا !
فقالت : سيدي الدوق ، ان ليدى ايزابيل في حمايتي .
اعرف كيف يجب معاملة السيدات غاذا لم تتحدث بشكل
أكثر انبا سوف تنادر انا وهى القاعة في الحال !

ضحك الدوق وقال : سيدي كرانكور ، أعرفه الآن
لماذا انت هاديء وصابت دائما . ان سيدك لقوى ا . .
عات مقعدا لليدى ايزابيل . احلسي ياسيدتى العزيرة
واحربنا لماذا هربت من موطنك ررحمت تدلوفين العالم
مثل امرأة مخبولة ؟

بدأت ليدى ايزابيل تحكى قصتها بحسوبة والم
شديدين : كنت مسممة الا أتزوج من كونت كامبو —
باسو وكنت اتمنى ان يساعدنى ملك فرنسا !

صاح الدوق : ها ! وهو بلاشك وعدك بالمساعدة ؟
أجابت ليدى ايزابيل : ظننت انه سوف يساعدنى
ولو لم أفكر في ذلك لما ذهبت اليه . ولكنى لم اكن

مؤكد من انه سيدخل ذلك . كنت أعرف فقط ما قالت لي
ليدي هاملين . وليدي هاملين كانت تعرف فقط ما قاله
لها راميت ماحروبيين . ومنذ ذلك الحين اكتشفت أن
راميت لم يكن مونس ثقة . لقد كان مخادعا تماما .

أكملت السيدة قصتها وقالت كيف غادرت بورجوندى
وجاءت الى بلاط الملك لويس وكيف أرسلها الى لياج .
رحلت عن المعركة التي حدثت في لياج وكبدت أضرارها
فرت من القلعة وكيف سلمت نفسها في النهاية لكونت
كرافكور .

ظل الجميع صامتين بعدما انتهت من قصتها . نظر
دوق بورجوندى في غضب الى الأرض كما لو كان يبحث
عن سبب لانفجار غضبه من جديد .

وأخيرا قال : أرجو أن أسأل الملك لويس لماذا
احتجز هاتين السيدتين في بلاطه وإذا لم يكن قد طلب
منهما الحضور فلماذا احتجزهما حين حصرا إليه ؟

اجاب الملك : أنا لم احتجزهما هناك عزيزي

الدوق . لقد استقبلها سرا لأمي شعرت بالشفقة
تجاههما ، واكفى غيما بعد حين سحبت الفرصة
أرسلتها الى امسك لياج ، صديقك ، ليكونا في
جهايته . واكفى أريد أن أمال مؤالا . أريد أن أمال
هذه السيدة الشابة أن كنت قد أحسنت استقبالها . هل
قلت ذات مرة أمي لا أرغب في حضورها هي وصديقتها؟

قالت ليدى ايزابيل : أنت لم تدعيني استقبالا
بالطبع . لقد استقبلتنا بطريقة جعلتني أشك أنك وعدتنا
بالمساعدة بالشغل . وأصابني الشك في أن يكون زاميت
قد قال الحقيقة حين أخبرنا أنك ستكون لنا صديقا .
لو كنت قد وعدتنا بالمساعدة لكان من الصعب أن تصدق
أن الملك ، الفارس النبيل ، سيفعل مثلما فعلت .

نظرت ليدى ايزابيل في استياء الملك وهي تتحدث
اليه غير أن نظراتها القاضية لم تكن تزعجه بل كانت
مصدر سرور عظيم . به يديه ونظر في هدم ، إلى دائرة
الغاسي حوله وقال : لقد سمعتم رد السيدة وناس أدى
ما أضيفه^١

لم يكن دوق بورجوندى راضيا ، ظل صامتا برهة
ثم التفت فجأة الى ليدى ايزابيل وقال :

— اذن ياسيدتى المزيزة انك حين حكيت قصة
رحلاتك نسيت ان تذكرى شيئا عن بعض أمور الحب ،
لقد تعرضت لهجوم بعض الفرنسيان فى الغاية أثناء
رحلتك .. ها ! انها لا ترد ! ..

ثم التفت الى الملك قائلا : أخبرنى ، أيها الملك
لويس ، أليس من الحكمة ان نرتب زواجا لهذه السيدة
قبلا لتسبب فى متاعب اخرى ؟

تركت ليدى ايزابيل مكانها بجوار ليدى كرافكور
وتقدمت من الدوق وركعت على ركبتيها قائلة :

— أنا الدوق الفيل ، لقد أخطأت فى فرارى من
بلدك . يجب أن ألام على حماقتى وأن أعانى نتيجة لذلك
وأنا على استعداد للمعاناة بالطريقة التى تراها ..
سأعبد اليك أراضى وقلاعى ، واتوسل اليك وإلى ذريتك
أن تمنحنى ما يكفى من المال الذى يتيح لى أن أحيى ما
ما تبقى لى من أبائى فى خدمة الله وأعمال الخير .

**قال الدوق وهو يلتفت الى الملك لويس : حسنا
باسدي .. ما راك .. ؟!**

قال الملك : اعتقد أننا يجب ان نؤيد ما نطلبه .

**قال الدوق : انهمى . لدى ايزابيل . سند من انظر
بشئ مما طلبت . لن نأخذ بك اراضيكي وقلعك بل
.. نضيف اليها سحاء !**

**قالت لدى ايزابيل وهي راكعة : ايه لا باسدي .
انت تتعدد صامدش ولكن اخاف مساءذك انظر مما
احشى نفسك . انت تجيرى ..**

**صاح الدوق : بحق السماء ! هل تخالطين
وامرى ! .. انهمى ! اتركينى ! .. صامكر ملاكا فى
الامر وحين اصدر اوامرى عليك ان تعطينى !**

**تقدمت لدى كرافكور وقالت امراين هـلـح
القاعة .**

الفصل السادس والعشرون

استدع كوينتن دوروارد !

استدعى كوينتن دوروارد بعد ذلك ، وأمره الدوق
أن يقدم تقريراً عن رحلته مع ليدى أرابيس وأبدي
هاملين .

قال الدوق : قرأ لي أولاً ما هي الأوامر التي
أصدرها لك الملك لويس ؟

قال كوينتن : أمرني أن أبحث السيد عن
سلام إلى قلعة أسقف لياج .

قال الملك : واطعت أوامري ليس كذلك ؟

اجاب كوينتن : لقد علمت ياسدي .

ثم سرع في حكاية قصته ..

قال الدوق : لقد نسيت ان نخبرنا انك هوجيت في الطريق من فارسين جوالين .

اجاب كوينتن : ليس من واجبي ان اتذكر مثل هذه الامور او اكرر حكيها .

قال دوق لورليتز : ليس من واجبك ان تذكر نكسي بالطبع لن انسى ذلك . هذا الشاب يهاجم مثل رجل . لقد كان بخلصا لأوامره وقاوم بشل .

قال دونوا : انا ايضا اريد ان اتحدث عنه . لقد كان شجاعا كريما !

انتم الدوق لكوينتن ناتية وقال : خرس - من اتبعت تعليمات الملك بالضبط ؟

**اجاب كوينتن : لا . لقد امرنى الملك لويس ان امر
نهر « موز » وان اسافر على الشاطئ الايسر للنهر
البحر سافرت على الشاطئ الايمن !
سأل الدوق : ولماذا فعلت ذلك ؟**

— لانى شمرت بعدم الثقة فى دليلى !

**اكمل الدوق : الآن انصت الى الاسئلة التى سوف
املحها عليك واحسن بصدق .. اذا لم نقل الحقيقة
سوف تشقى فى بناء القلعة .**

سأل الدوق : من كان دليلك ؟

اجاب دوروارد : خير ادين .

قال الدوق : ومن الذى امدك به ؟

**— قال لى تريستان : احد جمود الملك . ان خير ادين
سيلقانى بعد اول يوم فى الرحلة .**

سأل الدوق : ولماذا لم تتوكل به ؟

عندئذ حكى كوينتن قصة لقاء خيرادين بأحد جنود
لامارك .

قال الدوق : الآن انصت وتذكر مرة أخرى أن
حياتك تتوقف على قولك الحقيقة . هل قال هذا
الرجلان (خيرادين ورجل دولامارك) شيئاً عن الملك
لويس ؟ هل قالوا أن الملك أمرهما باختطاف السيدتين ؟

قال كوينتن : لو أن هذين الشخصين الوصييين
قالا شيئاً مماثلاً لما صدقتها ، لأنى أعرف أوامر الملك .

نظر الملك لويس إلى كوينتن ثم استلقى إلى الوراء
في مقعده — كما لو كان خوف عظيم قد أربح من قلبه

انظر الدوق ثم بدأ يسأل كوينتن عن قريب .

قال كوينتن : أنا أكرر أتى لم أسمع شيئاً يجهلنى
أعتقد أن الملك يساعد هذين الرجلين ، أو أن لهذين
الرجلين علاقة بالملك لويس .

قال الدوق لمهاضبا : أنت حارم محاصر : اعتقد أنك
بطاعتك أوامر الملك بإخلاص لم تكن بذلك تحقق ماتمناه
الملك .

قال كوينتن : أما لا أفهمك ياسيدى . قل ما أعرفه
هو أن سيدى . الملك لويس . أرسلنى لحماية هاتين
المسيحتين . وقد فعلت ذلك بأقصى جهد فى امكاسى
اثناء الرحلة واثناء الأحداث التى مرت فيما بعد . لقد
أدركت أن أوامر الملك يجب أن تحترم . وقد نفذتها
كملك . ولو لم تكن جديرة بالاحترام لما أعطيت الى .

قال الدوق : أنك فخور بنفسك مثل رجل
اسكتلندى ! .. ولكن انصت .. من الذى أمرك أن
تسير فى شوارع لياج مستعرضا نفسك ؟ .. ومن
الذى أمرك بالحديث فى القاعة بعد مقتل الأسقف فى
القلعة ؟ .. من الذى أمرك أن تقول أن الملك لويس
أرسلك الى لامارك ؟

اجاب كوينتن : سيدى . هناك الكثيرون ممن
سيخبرونك انى قلت للناص فى شوارع لياج أن الملك لم

يرسلني اليهم . . لقد كانت فكرتهم هم ان الملك هو
الذي ارسلني وقد اخبرتهم ان هذا غير صحيح . عندما
ملفت القلعة اخبرت الأسقف بما حدث لاني اعتقدت انه
من الحكمة بالسمة له ان يحرس القلعة جيدا ذلك
المساء . . عندما كنت في خطر داهم وعندما كان علي
ان انقذ ابدي ايزابيل ، قلت حقا ان الملك لويس ارسلني
وقد فعلت ذلك فقط لأنقذ السيدة . مااللقه انذاك لم يكن
صحيحا فالملك لويس لم يرسل بي الي اهل لباج كما
لم يرسلني الي لامارك . الأوامر هي توصيل الصيدين
الي لباج في سلام ووضعهما في حماية الأسقف . هذا كل
مافي الامر .

قال كرافكور الذي لم يستطع ان يظل صامتا أكثر
من ذلك . يبدو لي ان هذا الشاب تصرف بحكمة ضديدة
عندما قتل الأسقف . لا يمكن ان نلزم الملك لويس علي
ما قاله دوروارده انذاك . كان من الممكن ان القول نفس
الشيء .

علت المهمات في القاعة وبدأ كما لو كان المبلّاء
يوافقون على رأي كرامكور : ' نظر دوق بورجوندي حوله
في غضب ' .

في تلك اللحظة دخل كورمين وقال : ' وصل أحد
الحنود حاملا رسالة من أهالي ليانج ' .
قال الدوق : ' دعه يدخل ' .

:: سحر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

الفصل السابع والعشرون

فرار السوق

قضاء كوميون الرجل داخل القاعة وكان يعمل رسالة من أهالي ليانج - كان برندي ثيابا غريبة مرسوما عليها رأس خنزير كبير من الأمام والخلف وكانت تيمته على هيئة رأس خنزير .

سأل السوق : من أنت ؟

أجاب الرجل : أنا روح ساحليبي ١٠٠ (الخنزير

البرى الأحمر) ، احد جنود وليم دولامارك اسقف
لياخ .

صاح الدوق : ها ! اسقف لياخ !

اجاب الرجل : نعم ، وهو ايضا لورد ارف كروا
بغضل زوجته ليدى هاملين .

صاح دوق بورجوندى فى دهشة : زوجته ا . . .
ليدى هاملين زوجته ؟

- لقد امرت ان ابلغك - سيدى الدوق - ان سيدى
عين نفسه فى منصب اسقف وأنه الآن حاكم مدينة
لياخ . وقد امرت ان ابلغك انك لم تعد لك سلطة على
المدينة التى صارت الآن تحت سيطرة سيدى !

صاح الدوق : ها !

اكمل الرجل : كلت بان اطلب منكم ان تعيدوا
الأعلام التى أخذتموها من هذه المدينة وان تعيدوا بناء
الأسوار وتصلحوا الجزء الذى دمره جنودكم فى
القلعة .

قال الدوق : هل انتهيت ؟

أجاب الرجل : ليس بعد . لقد أمرت أن أطلب منكم
سحب جنودكم من كل القلاع المملوكة لليدى هاملين
وكذلك من أراضى ليدى ايزابيل . على أن أبلغكم أن
الأراضى التى تظنونها ملكا لليدى ايزابيل ليست حقا
ملكاً لها . بل هى ملك ليدى هاملين ، زوجة سيدى .

قال الدوق : هل انتهيت ؟

أجاب الرجل : كلمة أخيرة . كلمة أخيرة عن صديق
سيدى العزيز ومنقذه ، الملك لويس .

صاح الدوق : ها !

— لقد قيل لسيدى أن الملك أسير فى قلعتك وهو
يامر بك أن تطلق سراحه فوراً وأن لم تفعل فسوف يعلن
عليك الحرب .

صاح الدوق : هل انتهيت ؟

قال الرجل : نعم . وأنا فى انتظار ردكم .

صاح الدوق : الآن ، بحق السماء ! . . .

ولكن قبل أن ينطق بالمزيد وقف الملك لويس وقال :

**اسمع لى ياسيدى الدوق العزيز أن أجيب أولا على
هذا الرجل .**

واستدار الى روج سالجلييه قائلا :

**احمل هذه الرسالة الى ذلك اللص الوضيع وليم
دولامارك . . قل له ان ملك فرنسا سوف يرسل فى الحال
الى ليلاج ليناكش معه مقتل الأسقف . . قل له ان الملك
لويس ملك فرنسا يتوى شتق لامارك لأنه جرؤ أن يدعو
نفسه صديق الملك . . ولأنه جرؤ أن يسمح لأحد
جنوده بذكر اسم الملك لويس .**

قال الدوق : وأضيف الى ذلك أنى للمرة الأولى

**أوافق على كل ما قاله الملك . والآن اذهب ! . . لا .
بل ابق ! عندما يحمل لنا رسول رسالة من بلاط حاكم
آخر فمن عادتنا أن نمنحه هدية . ما هى الهدية التى
أهديها لك ؟ . . سأمنحك علقة ساخنة .**

اجاب كرافكور : لا ، ياسيدى ، لايمكن ان يحدث
ذلك . ان ضرب جندى يحمل رسالة ضد القانون .

قال الدوق : هل هو جندى ؟

قال الملك : هل هو رجل ؟ انه يرتدى ملابس مثل
الخنزير . وبما انه خنزير فسوف اطلق الكلاب عليه .

صاح الدوق : صح ، صح ! يجب ان يتم ذلك .
اطلق الكلاب عليه . سوف نصطاد الخنزير !

فرب روج سانجلييه والكلاب تلاحقه . راح يجرى
من جانب لآخر بين الموائد تتبعه الكلاب . كانت ساقاه
ووجهه قد غطتهم الدماء . ضحك دوق بورجوندى
والملك لويس حتى انهما وضعا ذراعيهما على اكتاف
بعضهما البعض . وفى النهاية استطاع الرجل المسكين
الفرار .

وبينما التفت الدوق ليتحدث الى أحد جنوده توقف
أرليفر دين خلف الملك وقال بصوت منخفض : « هذا
الرجل هو خيرادين . من الخطر أن يستجوبه الدوق .



ماخذت الكلاب تتعقبه وتهجم عليه

أجاب لويس في هدوء : يجب أن يقتل .

ذهب أوليفر دين وتحدث إلى تريستان وبعد لحظات
تقدم تريستان وقال : أيا حلالة الملك سيدي الدوق .
هذا الرجل سجين هارب وإذا أعرفه لأن كتفه عليه
خاتم المرحوم . أنه لص معروف . هل تسمحون لـ
القبض عليه ؟

**أجاب الدوق : بالطبع . ماذا يريد أن يفعل معه
الملك ؟**

**قال الملك : أنه رجل ممتاز . سوف أرقعه دوق كل
زملاته . بواسطة حبل !**

ضحك الدوق كثيرا بصوت عال .

صاح الدوق في النهاية : أه ، لويس ، لويس ،
كنت أتمنى أن تكون مخلصا كملك كما أنت مخلص
كرفيق . ذكر في كل الأوقات المبهدة التي قضيناها
معاً .

قال لويس : يمكنك استرجاع كل هذه الأوراق
السعيدة عندما تشاء . سوف افعل كل ما تطلبه مني
لكي انهي خلافاتنا .

اجاب الدوق : حسنا . اعتقد انك تعلمت درسا
في البقاء مخلصا للمرة القادمة . هل تفعل كل ما
أطلب ؟ اذن فلما اطلب منك ان تقوم معي لمحارب وليم
دولامارك .

قال لويس : سوف اقوم لمحاربته بكامل جيوشى .

قال الدوق : لا لا . ليس بكامل جيوشك فهذا
اكثر مما تحتاج اليه . قد فقط المرحى الامكتلندي .
اجاب الملك : كما ترغب .

- ولكى ينهى كل المشاكل بيننا بحصص من هذه
السيدة . هل توافق على زواجها من دوق اورليانز "

قال الملك : صديقى العزيز . سيكون ذلك ممعا الى
حد ما . لأن الدوق سيتزوج من ابنتى جوان .

قال الدوق : ربما نسأل الاثنين عن رأيهما . دعنا
نسال أورليانز وليدى ايزابيل !

قال الملك لويس وهو يلتفت الى أورليانز : صديقى
العزير . تعرف جيدا انى وعمدتك نال - حرواج من ايمى
جوران . والآن يسأل دوق بورجوندى ان كانت هذه
الخطه سوف تفشل . وان كنت ستتزوج من ليدى
ايزابيل . انتى احبه كثيرا لدرجة انى اود تنفيذ اى
شئ . يطلبه منى . هل انت على استعداد الحرواج من
ليدى ايزابيل !

كان من السهل ان يرى المرء على وجه دوق أورليانز
مايفكر فيه بخصوص الخطه . فقد ركع على ركبتيه
وقبل يد الملك . لم تكن به حاجة للملاعبة وكان من
الواضح انه مصرور .

تقدمت ليدى ايزابيل والتفت اليها دوق بورجوندى
سائلا اياها عن رأيها . قالت ليدى ايزابيل فى شجاعة :
« ليدى . لقد سمعت اوامرك . »

قال الدوق : حسنا . اين عسوف اعد لكل شيء
عدته . لقد اصطلدنا حنزيرا كبيرا هذا الصباح من هذه
القاعة . ما رأيك يا لويص لو اتينا القمصا حقل رذاب هذا
المساء .

قالت السيدة : سيدي الدوق . لقد اخطأت فهمي
لقد سمعت اوامرك . ونهضت في كل الاراضي التي
منحتني اياها ابوك وحدك ستعود اليك الآن . اسي اعيدتها
اليك . لاني لا استطيع ان اضيع اوامرك .

قال الدوق : بحق السماء ! هل يعرف احدكم
الذي من تتوجه بالحديث .

اجابت ايزابيل : سيدي . انني اتحدث الى مولاي
واعتقد انه عادل . اذا استرجعت اراضي هاتك بذلك
تسترد ما منحتني اياه انت وابوك . لكك لم تمنحني
جسدي المسكين ولا الروح التي تسكن هذا الجسد . فقد
منحتني اياهما الرب واعطى ان اعيدهما الى الرب وان
احيا ما تبقى لي من ايامي في بيت من بيوت اب الامم
حياتي في الصلاة وعمل الخير .

صاح الدوق : لورد أورليانز ، ستكون لك حتى
وان اضطرت لجرها من شعرها داخل الكنيسة .

لم تستطع ليدى كرامكور التزام الصمت أكثر من
ذلك . قالت : سيدي ، ان غصبتك دفعك للحديث بطريقة
لا تليق برجل مذهب . لا يمكن ان تعد أية امرأة على
الزواج بهذه الطريقة .

قال دونوا : لا شك ان صديقي دوق أورليانز لمن
يستطيع الزواج من امرأة لا ترغب في الزواج معه حفاظا
على كرامته .

قال أورليانز : ربما ، ان استطعت الحديث مع
الملكة عن العرض الذي تقدمه لها . . .

قالت ايزابيل في حزم : سيدي ، لا فائدة نرمي عن
ذلك . لقد قررت رفض هذا الزواج الذي لا أستحبه .

صاح الدوق : وانا أيضا قررت ما انا فاعل .
ارسلها الى سجن . يوحناوس ،
سرت المهمات في القاعة .

فالت كوت كرافكور : سيدى الدوق ، اننا نطالبك
نحن نبلاءك المخلصين بأن تعيد التفكير جيدا في هذا
الحكم ، اذا كانت ليدى ايزابيل قد اخطأت ، فلتعاملها
وفقا لمرتبها ولكننا لا نستطيع السماح لك بارسالها الى
سجن عام .

كان دوق بورجوندى يعرف انه تحدث بلا حكمة .

قال : انت على حق يا كرافكور ، لقد تصرعت في
الحكم . يجب ان يقرر مصيرها وفقا لقانون قديم
نعرفه جيدا جميعنا . عندما يخالجننا شك في اختيار
افضل زوج لسيده ما من بين اثنين او ثلاثة من الفرسان
فان حل المسألة في الماضي كان بأن تعطى السيدة
للفارس الأقوى هي القتال . اننا ننوى الزحف على
وليم دولامارك لنقاتله بسبب مقتل صديقى ، أسف
لأج . لقد تسببت هذه السيدة في مقتل الأسقف
بشكل كبير . . . ان زيارة ليدى ايزابيل وكوينتن
دوروارده هي السبب في اعطاء الإشارة لتعرد الشعب .

اننى اقرر الآن بان من يأتى لنا يرأس وليم دولامارك
يستطيع ان يطلب منى يد ليدى ايزابيل للزواج !

صاحت ايزابيل : اوه . سيدى . . .

قال الدوق : ان جدتك الاولى تزوجت بهذه الطريقة
وسيكون ذلك نفس مصيرك !

تعالى صيحات التأييد من جنّات القاعة . وسر
الدوق حين رأى ان الجميع راضون .

لم يكن من المجدى ان تتكلم ايزابيل . وقال الدوق :

ليكن الأمر كذلك . سوف نمنحها لاي رجل نيل
يظفر بالزواج منها !

الفصل الثامن والعشرون

آخر رسالة من خير ادين

ما ان تمكن كريتتن من مقابلة القاعة حتى تبع
تريستان والجنود التي اصطفت خير ادين وعثر عليهم
عد اطراف العاية الصغيرة خارج المدينة . كان احد
الجنود يربط حبلاً في غصن شجرة الملوط وكان خير ادين
جالسا على الأرض . يلف حوله عدد من الناس ينظرون
في فصول الى الرجل الذي سوف يلقى المسوت عن
قريب .

اخيرا . جاء ترستان الى خيرادين ليخبره انه
مستعد . وقف كوينتن وسط الجمع على أمل أن ينقذ
العجري بطريقة ما ، ان أتاحت له الفرصة . لقد خذله
الرجل ، وخدعه ، لكن كوينتن لم يكن يكرهه ولا يشعر
نحوه بالغضب .

قال ترستان : كل شيء جاهز . تعال معي .
ستشاهد منظرا جميلا للمدينة أعلى هذا الحصن .

قال خيرادين في هدوء : أريد أن أطلب منك
شيئا .

أجاب ترستان : يمكنك أن تطلب أي شيء فيما
عدا حياتك .

أجاب خيرادين : لا ، أنا لا أطلب ذلك ، لأنني
أعرف أنه لا أمل لي . أريد فقط أن أتحدث دقائق قليلة
مع هذا الجندي من الحرس الاسكتلندي .

وأشار الى كوينتن .

بدا على ترستان التردد لدقائق معدودة ثم فكر

انه من الحكمة ان يسمع له بذلك لأن كوينتن صار مقربا
للملك بعد ما حدث في الطاعة الكبيرة . أشار فتقدم
كوينتن .

كان خيرادين في حالة يرثى لها . كانت ملايسه
ممزقة وقد غطت وجهه الدماء ودمارت شفتاه بيضاء
اللون . غير ان عينيه كانتا لامعتين لماحتين كمادتهما .

قال ترستان : يجب ان تسرع ، فالرجل امامه رحلة
طويلة .

قال خيرادين : يجب ان أتحدث معه على انفراد .

ضحك ترستان وقال : ها ! على انفراد ؟ تريد ان
تبتعد قليلا لتسبح لك فرصة الهروب .

قال خيرادين : ان استطعت طبع الهروب فقدماي
مرفوقتان . دعني أتحدث مع هذا الرجل بضم دقاتي
وسوف أعطيك بعض الذهب .

قال الجندي : انت لا تملك شيئا . لقد بحثنا
بعناية .

اجاب خيرادين : لدى بعض الذهب ولكن ليس هنا
سوف أخبر الجندي الاسكتلندي عن مكانه .

بدا تريستان ورجاله وكانهم يصدقون الفجري
ووافقوا في النهاية ، ساروا مسافة قصيرة مبتعدين ،
تاركين كوينتن مع خيرادين .

قال خيرادين : لقد أعجبتني حين حاولت انقاذ
حياة أخي . وازدت مساعدتك للزواج من السيدة لكن
ليدي هاملين أكثر ثراء من ليدي ايزابيل . لذلك
أحضرتها خارج القلعة وتركت ليدي ايزابيل في
الداخل .

قال كوينتن : أنا لم أطلب منك المساعدة ، هيا .
ماذا تريد أن تقول لي ؟

أكمل خيرادين : يجب أن اتحدث بسرعة ، فالوقت
ضيق . لقد جئت هنا ليس فقط لكي أحمل رسالة الي
الدوق ولكن لكي أخبر الملك سرا خطيرا . لقد جمع
إليم دولامارك جيشا كبيرا في مدينة لياج . وهو لن

يفادر المدينة ويخوض القتال الا عندما يصل دوق
بورجوندى الى المدينة . سيجعل الدوق يبلغ المدينة
ويظل خارجها . ثم فى الليل سوف يهاجم جيش
الدوق . . سوف يرتدى كثير من رجاله ملابس الجيش
الفرنسى وسوف يصيحون باسم الملك لويس . . فاذا
كان الملك لويس يساعد فسوف يحطم جيش بورجوندى
وان لم يساعد فستقوم الحرب بين فرنسا وبورجوندى
. . وسوف ينتصر لامارك بمساعدة جانب ضد الجانب
الآخر . هذا هو سرى يمكنك ان تقوله للملك لويس او
للدوق . . لا يهم !

قال كوينتن : هو حقا سر خطير !

وأدرك كم هو من السهل أن تقوم الحرب بين جيش
الملك لويس وجيش دوق بورجوندى المشترك وهما يزحفان
معا ضد لياج .

**أكمل خيرادين : والآن هناك شيء أريد أن أطلبه
منك . بخصوص حصانى المسكين كليد وهو الكائن
الوحيد الذى سيخزن الموتى : ستجده على بعد ميل**

على الطريق بالقرب من كوخ خالى . اطلق هذه الصبيحة
- وصاح خيراديين صبيحة غريبة - وسوف يأتى اليك .
اهتم به . سوف تجد فى الكوخ الذهب الذى أعطانيه
لامارك لأحمل هذه الرسالة . أعط هؤلاء الجنود بعضا
منه كما وعدتهم واحتفظ بما يتبقى .

- انا لا أريد مالك . سوف أعطيه للكنيسة لكى
تقيم الصلاة على روحك !

قال خيراديين : الوداع لنن . اه . ولكن انتظر .
نسيت أن أخبرك شيئا . هذه رسالة من ليدى هاملين
الطبية الحمقاء زوجة لامارك الان . موجهة الى ليدى
ايزابيل أرى من وجهك أنك على استعداد ان تأمل توصيلها !
والآن وداعا . لا أريد أن يصلى أحد من جلى . سيعود
جسدى الى الأرض الأم ويتحول الى عشب وزهور
وأشجار . . عشت معها طويلا . وسوف نهيم روحى
مختلطة بالرياح . غجر السماء الهائمين . والآن
اتركنى لقد نطقت شفقتى بأخسر كلمات تقولها . .
وداعا !

الفصل التاسع والعشرون

رسالة الى ليدى ايزابيل

كانت الأعلام تخفق والطبول تدق . زحفت جيوش الملك لويس ودوق بورجوندى عابرة الشوارع حتى خرجت الى أسوار مدينة بيرون العظيمة . كانت النساء تنتظر عبر النوافذ بينما استقر الفرسان على جيادهم وراحوا يلوحون لهن أثناء مرورهم . كانت ليدى ايزابيل هناك وكان كل فارس يمر تحت نافذتها ينحني

لها . ولكن أحدهم راح ينصني أكثر من الآخرين . كان
كوينتن قد وضع لها الرسالة على طرف رمحه .

وقف كنت كرافكور الى جوار ليدى ليزابيل
وقال : ها ! ان الطاب جرىء كما كان دائما وأكثر .
كيف يجرؤ على ارسال رسائل الحب الى سيدة من
مرتبة رابعة بشكل واضح هكذا ؟

قالت ايزابيل : أنت تتحدث بحمل . انها رسالة
من ليدى هاملين . لا بد وانها تتعذب بشدة ومع ذلك
يبدو انها تكتب في سعادة .

قالت ليدى كرافكور : دعينا نسمع حاتقوله زوجة
لامارك ا

قوات ليدى ايزابيل :

لقد سعدت بالزواج من أحد أشجع الرجال
على وجه الأرض . والآن أصبح زوجي أسلفا . أرجو
الا تحكمي على وليم بما تسمعينه من الآخرين .
انتظري حتى تتعرفي عليه أكثر حين تلتقي به . ان له

أخطاءه ولكن كل الرجال العظماء لهم أخطاء . لأنه
يحتسى الضرر بكثرة ولكن جدى أيضا كان مثله . أنه
شرس ويفضض أحيانا ولكن أخى أيضا كان مثله .
وهو يحدث مشكل فظ ومباشر . ولكن الألمان جميعهم
مثله . كما أنه قاس وعنيف فى إعطائه الأوامر . ولكن
كل الرجال يحبون السلطة . . .

وهكذا استمرت الرسالة ، وانتهت بدعوة ليدى
إيزابيل للهروب من بلاط دوق بورجوندى الى ليما
للبقاء مع ليدى هاملين .

هنا توقفت ليدى إيزابيل عن قراءة الرسالة .

قالت ليدى كرافكور : من الواضح أن ليدى هاملين
أصابها أحباط فى لامارك . أن قدرا بسيطا من التهذيب
فى أيام الزواج الأولى .

قال الكونت : هو ! مهذب ؟ . . . هذا مستحيل .
هل عمرك زابت خنزيرا برياً مهذباً ؟ . لا . أنها مثل
دجاجة عجوز وقعت فى عرام الثعلب الذى التنصها .

والآن ربما تكون ليدى ايزابيل مظلمة للحاق بها
والزواج من احد افراد عائلة لامارك .

فالت ليدى ايزابيل : لى اعمل ذلك - كل ما اتعناه
هو ان تنجح هذه الجيوش فى استرداد مدينة ليما
لكى يحرروا ليدى حاملين من هذا الرجل المزعج .

هندما تلت ليدى ايزابيل الخطاب على اصدقائها
ولم تقرأ لهم السطور المكتوبة فى النهاية :

« كنت اصنع معطفا لزوجى عليه شارة هائلتى
وعائلته معا . والآن طلب منى ان اتوقف عن هذا العمل
وان اصنع له معطفا اخر عليه شارة دونوا . انه يريد
ان يخوض الحرب مرتديا زيا كما لو كان دونوا . اصنع
احرف حسب ذلك . . . »

نظرت ليدى ايزابيل الى الورقة وخطر لها خاطر
دخلت مسرعة الى البيت وتناولت قلما وسطرت بصفة

سطور . كتبت على جانب الورقة : ان الذى لا يخاف
من دونوا نفسه لن يخاف من خنزير برى يرتدى زيه .

نادت على احد الخدم وقالت : خذ هذه الورقة
بسرعة الى كوينتن موروارد الذى يصاحب حرس الملك
الاسكتلندى :

الفصل الثلاثون

كوينتن يخبر الملك

راح الاسكتلندي الضباب يقبل خطاب ليدى ايزابيل الف مرة وهو على طريقه ، كانت قيمة هذا الخطاب كبيرة ليس فقط كرسالة حب ولكن لان الاخبار التي يحملها كانت شديدة الاهمية . كانت تؤكد له ان كلمات خيراين صادقة بحق . يجب ان يفعل شيئا حيال ذلك . لو اضطر الى اخبار ملك فرنسا فقط بهذا النبا لسوف يخفيه الملك عن بارجوندى ويلحق بلامارك

ليست جيش الدوق • ولم يكن يستطيع اخبار الدوق •
لم يكن يثق فى اى منهما • يجب ان تصلهما الاخبار
عندما يكونان مجتمعين •

استمر الجمع فى السير واقتربت الجيوش من لياج
وهناك اكتشفوا ان لامارك قد صعد رجاله الى داخل
اسوار المدينة •

على مسافة قريبة من المدينة كان هناك منزلان
صغيران يسكنهما تجار الثياب كبيت ريفى • دخل الملك
لويس احدهما ودخل دوق بورجوندى الآخر • ضرب
الجيش الفرنسى خيامه الى بشار بيت الملك وضرب
رجال الدوق خيامهم الى يمين بيت الدوق •

فى ذلك المساء مر الملك ببيت الدوق ليسانس هن
ترتيبات المعركة • كان كويتن فى نوبة حراسة • اسره
وراء الملك وبينما كان الملك والدوق معا طلب المثل قاتلا
ان عنده اخبارا مهمة •

بعد وقت قصير سمح له بالدخول وكانت دوشة
الملك لويس كبيرة حين سمعه بهدوء ووضوح يلخص خطط

وليم دولامارك . كان من الممكن ان يصر لويس لو ان
هذه الاخبار وصلتته سرا وهو بمفرده . ولكن القصة
الآن اصبحت معروفة علنا امام دوق بورجوندى . هكذا
قال الملك لويس : ايا كان صدق هذا الامر فهو مهم
جدا . سوف امر رجالى بان يضعوا لميضا ابيض فوق
دروعهم حتى يمكن التعرف عليهم . . دونوا . تأكد من
وصول اوامرى الى كل الكتائب فى الحال . ارجو
يا عزيزى الدوق ان توافق على هذه الخطة ؟

قال الدوق : نعم ازيدها رغم ان فرصتك فى هذه
الملابس سيكون مظهرهم مخريا . سيطلق عليهم اسم
حيث قمصان النوم بدلا من فرسان .

قال الملك : سوف يطلق عليهم ماتشاء من الاسماء
اذا انتصروا فى المعركة .

سار الملك عائدا الى منزله مع كرافكور وأوليفر
دين .

قال : هذا الشاب الاسكتلندى شاب غريب الأطوار

.. انه حكيم في بعض الأحيان . احمق في احيان
اخرى . لا أستطيع فهمه . فكرا في مدى حقه ان حكى
قصة هديقي العزيز لامارك امام دوق بورجوندى ! كان
لا بد ان يذيرنى بها سرا حتى يتسنى لى ان اختار : ان
اساعد لامارك او لا اساعده .

قال اوليفر دين : الامر افضل هكذا يا سيدي .
كثيرون من رجالك يفضلون الحرب ضد لامارك عن
الحرب معه .

اجاب الملك لويس : انت على حق يا اوليفر . يجب
ان نكون رجال واصدقاء بورجوندى المخلصين
الحقيقيين .. هذا المساء على الأقل . وبعد ذلك سوف
نرى . اذهب واخبر الرجال الا يخلعوا دروعهم يجب
ان يستعدوا للحملة الليلية . دع كراوفورد يضع
كويئتن دوروارد على يسار خطنا بالقرب من المدينة .
فهذا سيعطيه فرصة أكبر ليكسب يد السيدة . نحن
ندين له بذلك لأنه كشف لنا عن هذه الحطة .

الفصل العادى والثلاثون

المركة تبدأ

خيم الصمت المطلق على الحيثيين وعلى المدينة .
من وقت لآخر كانت صيحات الجنود تتعالى مرددين
كلمة السر للمرور . ثم غط الجميع فى النوم فيما عدا
قليلين يتناوبون الحراسة امام منزل الملك وحول
المعسكر . وكم من الفبلاء من الشباب راخوا يحلمون
باغشام يد ايزابيل !

لكن كوينتن دورارد لم يكن من بين الحالمين . لم

يكن نائما . كان يفكر كيف يحد لامارك وسط المعركة .
وكان خاطر آخر يشغل تفكيره ويجعله مستيقظا . وهو
الطريقة التي وصل بها الى علمه معرفة ذلك من خطاب
ليدى ايزابيل .

وبينما هو راقد فى الظلام راح يرهف السمع لكى
يلتقط أدق الأصوات . نظر فى ستار الليل المبهيم ولكنه
لم ير شيئا .

دقت ساعات المدينة دقة واحدة . ثم دقتين . .
فثلاث دقات . . وظل كل شيء صامتا كصمت القبور .

ربما لن يتم الهجوم قبل الفجر . عندئذ سيكون
من الأسهل رؤية حلابس دونوا التي سيرتديها لامارك .
وبينما جال هذا خاطر برأسه سمع كوينتن فى المدينة
صوتا خفيضا كصوت اسراب النحل . انصت .
استمر الصوت . ربما كانت الريح تمر بين أغصان
الأشجار فى الغابة القريبة . وربما كانت عاصفة
ما محملة بالأمطار الثقيلة تسقط بمياهها داخل النهر
محدثه صوتا أكبر من المعتاد .

ازداد الصوت ارتفاعا . فقام كوينتن وراح ينادى
خاله « بلافريه » الذى كان يقود كتيبة الحرس
الاسكتلندى التى يخدم فيها كوينتن . هب الكل فى لحظة
واحدة محدثين أقل ضوضاء ممكنة .

وصل لورد كراوفورد وأرسل رجلا ليوفظ الملك .
كانت الضوضاء القادمة من المدينة قد توقفت الآن
وصار يسمع صوت آخر . . . صوت أقدام كثيرة
وثقيلة .

قال لورد كراوفورد وهو يستدير ناظرا الى جندى
شاب : كنجهام ، اذهب وأيقظ هؤلاء الرجال الكسالى
رجال دوق بورجوندى . لابد أنهم نيام .

قال كوينتن : يجب أن تحافظ على مسافة كبيرة
بينك وبين المدينة أثناء السير . فهناك جيش كبير يقف
دوننا ودون الأسوار .

قال لورد كراوفورد : أحسنت القول يا كوينتن . . .
أنت جندى بحق . هؤلاء الرجال بيننا وبين الأسوار

ينظرون أن يصل الآخرون وليتني أعرف أين الآخرون .

قال كوينتن : سوف أذهب ياسيدي لأستطلع الأمر .

— فلتفعل ، فعمدك أذنان وعيدان ثاقبتان . ولكن

خذ حذرك . لا أريد أن أفقدك .

تحرك كوينتن بسرعة وهدوء على الأرض . كان

قد درس المنطقة بعناية في الصباح وكان يعرف كل

شجرة وكل حجر . بعد وقت قصير شاهد كتيبة كبيرة

تقف في منتصف المسافة بين منزل الملك وبرابرة المدينة .

وكانت هناك كتيبة أصغر أمامها . ثم اكتشف فجأة أنه

على مقربة كبيرة من مجموعة من الرجال يقفون بالقرب

من بيت الملك . لم يكن من السهل الفرار دون أن يلحظ

أحد ذلك . فراح ينادي بصوت منخفض : من هناك ؟

فجاءته الإجابة : ، تحيا لي . . . ليأج . . . أقصد لرئيس :

أطلق كوينتن النار . صاح الرجل صيحة واحدة

وسقط . تلا ذلك تبادل النيران ولكن كوينتن كان قد

رحل .

قال كراوفورد : أحسنت يا بني .

كان الرجال يقفون في خط واحد ، يقف خلفهم الملك لويس ، استدار الملك على جواده . فقال كراوفورد :
أين أنت ذاهب ياسيدي ؟ أنت في عامن هنا أكثر بين
رجالك .

قال لويس : يجب أن أتجه فوراً الى الدوق . يجب
أن أجعله يثق في هذه اللحظة المهمة والا فستقوم
الحرب بين فرنسا وبورجوندى . تعال معي يا داورارد .

الفصل الثانى والثلاثون

دونوا الآخر

ابتعد الملك على حصانه يتبعه كوينتن ، وجدا الدوق راقدا على فراشه وقد أصابه مرض مفاجئ حتى أصبح غير قادر تقريبا على قيادة جنوده . بدأ الهجوم على منزل الملك ، خرجت كتيبة ثالثة من لياج وهاجمت جيش بورجوندى وراحت تصيح : « تحيا فرنسا ! عاش الملك لويس ! »

كانوا يريدون أن يعتقد جنود بورجوندى أن
الفرنسيين يهاجمونهم .

عندما وصل الملك كان من المحتمل أن تنجح هذه
الحطة . ولكن عندما أظهر الملك نفسه لجيوش الدوق
عرفوا أن المهاجمين ليسوا من الفرنسيين ولكن من اتباع
لامارك . ولأن الدوق كان مريضا فقد قاد الملك بنفسه
جيش بورجوندى . كان قائدا شديدا الهدوء شديد الحكمة
مما دفع الجنود لتلبية أوامره .

كانت رعى الريح تدور الآن على الجانبين . الى
اليسار كانت النيران تغدغ من بعض المنازل القليلة
بالقرب من أسوار المدينة . فى الوسط كانت الحسرب
تدور أمام منزل الملك ، والى اليمين كانت خطوط جيش
بورجوندى مزودة بالرجال للدفاع عن خط القتال .

التفت الملك الى كوينتن قائلا : يمكننا السيطرة
عليهم هنا الى اليمين ولن يستطيعوا أن يلحقوا بنا
الأذى فى الوسط . يمكننا السيطرة عليهم بعدد أقل من

الرجال . اذهب وقل لدونوا ان يجمع الرجال الذين
يستطيع جمعهم وان يسير ليفصل بين اهل لياج وبين
المدينة .

ذهب كوينتن الى دونوا ولكنه التقى بكراوفورد قدام
صوب الملك ليتلقى الأوامر . استدار كراوفورد وعاد
أدراجه مع كوينتن ، حيث وجدا دونوا مع مائتين من
الحرس الاسكتلندي حيثلقى عليه بأوامر الملك .

انضم كوينتن الآن لدونوا وسار الى يمين
كراوفورد بينما سار دونوا الى يساره . سارت الكتيبة
وسط الحد الحقول والتفت حول مؤخرة الجيش .

بدأ ضوء النهار يلمع فى السماء .

قال كراوفورد لدونوا : والآن بحق السماء ، هل
انت من يسير الى جوارى أم هو أنت الذى يجمع الرجال
هناك للهجوم ؟ اظن أنى أرى الواحد اثنين ، فالحقيقة
أنكما تتشابهان تماما .

استدار دونوا ونظر صائحا : حقيقى بها يكفى !
هذا الرجل يضع شارة عائلقى فوق ملاسسه وعلى
درعه ، سوف أقتله لذلك السبب حين اللقاء !

قال كوينتن : اترك ذلك لى ، دعنى اتعامل معه .

صاح دونوا : اتركه لك ، أيها الشاب ؟ . .

لا . هذه مسألة تخصنى .

**ثم التفت متاديا على الرجال حوله : يا رجال فرتسا
النبلاء ، اجمعوا الصف ! استعد ! تقدم !**

أطلقت الكتيبة نيرانها محدثة دويا كبيرا . .

كانوا يطلقون النار على جنود من المشاة ، وكانوا
يشكلون خطا قويا حتى ان عددا قليلا من الفرسان
الفرسيين كان باستطاعتهم اختراق الخط ، ومن بينهم
دونوا وكوينتن الى جواره ، أسرعوا بالتقدم الى حيث
يقف عدوهم ، ثم فجأة رأى دونوا على مبعدة الى
اليسار رجلا يرتدى درع وليم دولا مارك .

صاح : ها ! انتما ، دوروارد وبلافريه اذهبا
وقاتلا هذا الدونوا الآخر . اما انا فارى عدوا آخر
أكثر أهمية . لا تدعا أحدا يجرؤ على المجيء معي .
اندى ناهب لصيد الحنزير !

كان كوينتن مستعدا لقبول هذا الترتيب .

فى هذه اللحظة بدأت المعركة تتراجع صوب
المدينة . كان اهل لياج يجرّون من كل جانب صوب
الأبواب وكان الجنود الفرنسيون يحثّون الخطو
وراءهم . تبع كوينتن عدوه وكان يستطيع أن يرى
لامارك (وهو يرتدى ملابس دونوا) محاولا أن يجمع
رجالہ حوله ويجعلهم يصعدون فى وجه المعركة . لبرهة
استطاع لامارك أن يجعل رجاله يواجهون الفرنسيين
أمام ثغرة كبيرة فى أسوار المدينة . كان يحمل سيفًا
طويلا فى يده وقد بدا كل شيء يتساقط أمامه . كانت
الدماء تغطيه الى حد أنه كان من الصعب أن ترى
العلامة فوق درعه . أصبح كوينتن الآن يجد صعوبة
أقل فى رؤيته ، لأنه كان يقف أعلى من الآخرين . قفز

من فوق جواده وتسلق الصخور المتساقطة ليهجم على
« خنزير الغابة » . التفت لامارك صوب كويتن شاهراً
سيفه ، كانا على وشك الاشتباك حين انطلقت صيحة
انتصار مدوية دليلاً على أن الفرنسيين دخلوا المدينة من
موقع آخر خلف الرجال الذين يدافعون عن الثغرة في
السيور . اسرع لامارك بجمع رجاله وعاد أدراجه الى
المدينة .

الفصل الثالث والثلاثون

رأس لامارك

كان من الممكن أن يهرب لامارك لو لم يكن كوينتن يعرف سره . لكن كوينتن وبلافريه تبعاه عن قرب ، وكلما توقف لامارك هاجماه . لكن لامارك لم يكن يرغب في القتال . كان يحاول الهرب وفي كل مرة كان يستطيع أن يحرر نفسه منهما .

كانت الحرب تدور داخل المدينة بشراسة . وكانت صيحات النساء تتعالى من كل جانب مختلطة بصيحات

الخوف والغضب وأصوات الرجال الجرحى أو
المحتضرين .

كان لامارك يحاول الهرب . هبط الى شارع ضيق
واقترب من باب كنيسة صغيرة . هجاء تعالت صيحات :
فرنسا ! فرنسا ! بورجوندى ! بورجوندى ! « وعرف
أن الأعداء يدخلون الشارع في الطرف البعيد . لم
يكن يستطيع الفرار .

التفت الى أحد جنوده وقال : خذ هؤلاء الرجال
معك وحاول أن تخترق نهاية الشارع . أما أنا فسابقى
هنا واتعامل مع هذين الاسكتلنديين .

أطاع الجندي .

وقف لامارك بجوار باب الكنيسة في مواجهة
الرجلين الاسكتلنديين .

صاح : تقدم ، تقدم أيها الشاب !

أسرع لامارك نحو دوروارد مسددا اليه ضربة
كادت تشطره نصفين من الرأس الى أخمص القدمين .

لكن كوينتن قفز جانبا بسرعة . وراحا يتقاتلان مثل
خنزير وكلب ، كان كوينتن أسرع ولكن القوة كانت
تنقصه وكانت الضربة من سيف « الخنزير » تعنى
الموت ، لكنه كان يتفادها في كل مرة بسرعة ، وفي
كل مرة كان يتمكن من جرحه وهو يهرب يساعد ذلك
على الاقتراب من النصر .

وفي اللحظة التي بدا الانتصار فيها قريبا سمع
كوينتن اسمه وصيحة استعجاء .

— النجدة ، دوروارد ! النجدة ! النجدة ! انقذني !

أدار رأسه ورأى ترودشن باهيون وقد حملها أحد
الجنود الفرنسيين .

صاح كوينتن لامارك : انتظرنى قليلا !

ثم جرى لينقذ السيدة التي كثيرا ما ساعدته .

أجاب لامارك : أنا لا أنتظر أحدا .

صاح بالهويه : اذن فسوف تنتظرنى أنا . كان

بامكان كوينتن أن يقتلك ، وأنا خاله ، أحارب بدلا منه .

وجد كوينتن انه من الصعب ان ينقذ ترودشن اكثر
مما توقع . كان الجندى الفرنسى يقاتل بشراسة وفى
النهاية أسرع بعض جنود الحرس الاسكتلندى لمساعدته
وتمكنوا من ابعاد الرجل .

لكن المهمة لم تكن قد انتهت بعد . كان على
كوينتن ان يصطحب ترودشن الى منزل باغيون ووصل
هناك فى الوقت المناسب ليدافع عن البيت واصحابه
ضد هجمة بعض رجال بورجوندى .

دخل الملك والدوق الى المدينة عبر البوابة الكبيرة .
وارسلوا امرهما لوقف عمليات قتل المدنيين واحراق
المنازل . ثم اتجها صوب الكنيسة الكبيرة فى قلب
المدينة . وعندما هدأت المدينة ، قاما باستدعاء الجنود
لكى يقوموا بعمل الترتيبات اللازمة للمبيت .

كان لورد كراوفورد راكبا جواده فى أحد الشوارع
متشعلا (مثل ضباط آخرين فى رتبته) بجمع رجاله .
وثناء سيره التقى ، بلاغريه ، وهو يسير بهدوء صوب
النهر حاملا فى يده رأس رجل .

**صاح كراوفورد : ها ، بلافريه . ماذا تفعل ؟ لماذا
تحمل هذا ؟**

- هذا كل ماتبقى من عملية قام بها دوروارد
الشاب واشرف على الانتهاء منها ولكنه استدهى بعيدا
وقمت ابا بصفتي حاله بانعام المهمة وقتلت الرجل .
وقبل ان يموت طلب منى ان القى براسه فى النهر .
بعض الرجال لهم امنيات غريبة حين يواجهون الموت !

**قال كراوفورد وهو ينظر الى الراس بعناية اكثر :
وهل ستلقى هذا الراس فى النهر ؟**

**قال بلافريه : نعم بالطبع . لقد طلب منى الرجل
ذلك ومن حقه ان يفعل ما يريد براسه !**

قال كراوفورد : لن تلقى فى النهر بل ستأتى معى .

**اجاب بلافريه : آه حسنا . انا لم اعده بشيء فقد
مات قبل ان اجيبه !**

الفصل الرابع والثلاثون

النهاية

كان الوقت مساء . . . عاد السلام مرة ثانية للمدينة
فقد جمع الضباط رجالهم وكف القتال وأغلقت توافذ
البيوت وأقفلت الأبواب بالمقاريص وخلت الشوارع من
المارة .

في قاعة القلعة الكبيرة حيث قتل أسقف لياج ،
جلس الآن ملك فرنسا ودوق بورجوندى وحولهما القبلاء
والضباط .

كانت المأدبة قد انتهت وكان من الضروري الان
الاتفاق على السؤال الأكبر : من الذى قتل ولیم
دولامارك ؟ من الذى ظهر بيد لیدی ایزابیل ؟

أظهر كرافكور معطفا عليه رأس خنزير بسرى
مثل المعطف الذى يرتديه عادة لامارك ، وقدم دونوا
دزعا كتلك التى يحملها لامارك عادة ، وقدم آخرون
أجزاء أخرى من حلتة العسكرية أو علامات أخرى تدل
على النجاح ، وساء اللفظ والشجار .

فى تلك اللحظة ، تقدم كراوفورد وسط الدائرة وهو
يجر بالأقرية خلفه .

وصاح : ابتعدوا بدروعكم وسيوفكم الملوثة وثيابكم
الملوثة ! ها هو الرجل ! لا أحد غيره قتل الخنزير
ويستطيع ان يريكم رأسه !

ثملقى كراوفورد على الأرض رأس ولیم دولامارك .
ساء الصمت .

قال لويس : كراوفورد ، أرجو أن يكون واحدا من
حرسى الاسكتلندى الأمين هو الذى فاز بالجائزة ؟

أجاب كراوفورد : نعم ياسيدى . انه بلاغريه .

سال دوقى بورجوندى : ولكن هل هو من اصل نبيل ؟
لا يمكننا أن نزوج السيدة من رجل ليس من النبلاء .

قال كراوفورد : انه رجل غريب ، جندى حقيقى
ولكنه خشن الطباع واعتقد انه يحب كؤوس الخمر أكثر
من النساء .

قال بلاغريه : نعم ، هذا حقيقى . . . وأرجو أن أقول
لكم . . .

قال الدوق : حسنا ، اذا كان من عائلة طيبة وان
كان قد ظهر بها فيجب أن نعطيها له . لقد كان وعدا
احمق . انها ابنة صديقى العزيز رچينال دو كروا
الوحيدة . لقد وعدت وعدا غبيا .

قال لورد كراوفورد : انتظر ، فربما كان الأمر
افضل مما تتخيل . دع الرجل يتكلم .

ثم حكى بلاهرية قصته . . كيف تبع كوينتن
دولامارك اثناء الحرب وسيطر عليه في قبضته وكيف
انه اوشك على قتله لولا ان نادته احدى السيدات
لانقاذها من براثن جدى فرنسى . وحكى كيف اتته
بضربات قليلة تمكن من قتل لامارك الذى كان مجروحاً
في مقتل بسبب الاسكتلندى الشاب . ثم قال وهو ينهى
حكايته : انا احب كووس الخمر اكثر من النساء . .
ولا اريد زوجة ، فانا سعيد بحالى هذه !

قال الملك لويس : اننا ندين بالشكر الكبير لهذا
الشاب كوينتن دوروارد . . فلولا انه اخبرنا بخطّة
العدو لكنا قد دمرنا عن اخرنا .

قال دوتوا : واستطيع ايضا ان اتحدث بالنيابة عن
دوروارد . فقد حارب بشجاعة فائقة في الحرب ولم
يكن في مثل شجاعته أحد .

قال كراوفورد : وهو سليل اسرة عريقة من افضل
الاسر في اسكتلندا . فهو سليل آلان دوروارد أحد اكبر
ضباط المملكة .

قال كرافكور : انظر كيف يساعد هؤلاء
الاسكتلنديون بعضهم البعض ويتحدثون نيابة عن
بعضهم البعض !

اجاب كراوفورد ضاحكا : الاسكتلنديون ، كتب
لكتب !

قال بوق بوجوتدي : علينا مع ذلك ان نسال
السيدة عن رأيها .

قال كرافكور : بحق السماء ، اعتقد انها لأول مرة
ستطيع اوامرک !

رقم الايداع ١٩٩٤/٥٤٣.

الترقيم الدولي 1 — 3983 — 01 — 977 I.S.B.N.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

